# المشرق

## فقيد الطباعة

نبذةٌ موجزة للاب لويس شيخو اليسوعي

ابت الدنيا على كلّ حيّ آخر الأيام ألّا ذهابا
بينما الانسان حيٌّ قويٌّ اذ دعاهُ يومهُ فاجابا

في مساء يوم السبت الواقع في ٧ من الشهر المنصرم لبّى دعوة ربّه مزوّدًا بكل اسرار الكنيسة الطيّبُ الأثر المرحوم مارديًا الياس مدير مطبعتنا الكاثوليكيّة. فما بلغ منعاهُ مسامع معارفهِ حتى فاضت لفقدهِ العبرات وعلت الزفرات ولهجت بمحامدهِ الألسنة ودَّ الجميع لو فدوهُ بالنفس والنفيس. والحق يقال انّ الفقيد كان اسر مدّة حياتهِ باستقامتهِ وتراهة سيرتهِ وفضلهِ العميم قلوب كل الذين أتيح لهم ان يدنوا من شخصهِ الكريم. وقد اعربوا جميعهم عن مزيد اسفهم وشاطروا الاحزان في هذا المصاب واردعوا في بطن الجرائد الحليّة عبارات الثناء على من عدُّوهُ مثالًا للمصافاة والاخاء.

هذا وما كنّا نحن لنطرئ في تجلّتنا فضائل هذا الرجل البارّ لعلمنا ان غاية ما يتمنى الراهب ان ينساهُ البشر بعد موتهِ كما اعتزل عنهم مدّة حياتهِ فانقطع لخدمة ربّهِ بيد انّ الاخ المذكور كان ابًا لعائلةٍ ساسها نحو ثلاثين سنة وعُني بتهذيبها وصلاحها نزيد المتين من العمّة الطبّاعين الذي ربّاهم وعلّمهم وكان لهم قدوةً في ممارسة الاعمال الصالحة فلم يشاؤوا ان يموت ذكرهُ ورغبوا الينا ان نلخّص لهم ترجمة حياتهِ فلم نرَ بدًّا من الاجابة الى ملتمسهم. وحدانا الى ذلك ايضًا انّ لهذا الاخ فضلًا خصوصيًّا على هذه المجلة فانهُ لم يدخر وسعًا في انشائها والقيام بلوازمها وحسن طبعها لتكون منذ اوّل نشأتها عملًا

حقيقاً بنظر الادباء وسنداً للدين والعلم. فرأينا ان نؤدي للفقيد شكرنا بتدوين هذه الاسطر لتخليد ذكره في صفحات المشرق

١

وُلد الاخ الياس في ١٥ آب من سنة ١٨٤٠ يوم عيد انتقال السيدة الى السماء. كانَ هذه البتول الطاهرة التي اجزلت عليه هباتها في حياته ارادت ان تختصهُ بشفاعتها منذ ولادته. وكان والدهُ من بيت السانس يخدم الرهبان الكرمليين في دير سيدة الكرمل بامانة وغيرة. فنشأ ولدهُ في حجرهِ متخرّجاً بآدابه. وكانت امهُ متعبدة لسيدة الكرمل وكثيرًا ما تأتي كنيستها لتتبرّك بزيارة معبدها ومعها ولدها الصغير فتأثر الطفل منذ نعومة اظفاره من هذا المنظر وبقي ذكرهُ منطبعاً في قلبه

ولمّا ترعرع الصبي خدم دير الكرمل كابيه وكان حاذقاً في العمل كثير النشاط يقلّد الكبار في اشغالهم. وكان في اوّل امره يشتغل في البناء فلم يلبث ان يُحسن هذه الصناعة. ثمّ زاول الحدادة فأتقنها وقد ادّى لدير الكرمل من هذا القبيل خدماً عديدة حتى انّ الرهبان لم يرضوا بغيره قيّماً مع صغر سنّه وكان مع ذلك ليّن الطباع امينًا في الخدمة قنوعًا بالقليل

وفي اثناء ذلك كانت عبادتهُ الى العذراء الطاهرة تزيد مع الايّام وكان يرى الجموع تتقاطر الى معبدها وتُقام الحفلات البهيجة في اعيادها لاسيما يوم موسم سيدة الكرمل فكان يلتجئ الى البتول في ضيقاته وينظر اليها نظر الولد لامه. وبينما كان يوماً يشتغل في الكنيسة وحدهُ اذ مرَّ امام مذبحها فرفع بعينيه الى صورتها العجائبيّة التي هناك فرأى كأن السيدة تستدعيه وتُشير اليه بان يقترب من ابنها الذي على ذراعيها. فظنَّ انّ بصرهُ يخدعهُ لكنّ العذراء كرّرت هذه الدعوة مرارًا حتى تحقق الرؤيا (١ فجثا امام الصورة يطلب من الله بكلّ حرارة قلبه ان يعرّفهُ ارادتهُ فسمع صوتًا باطنًا يدعوهُ الى خدمته تعالى ونبذ المخلوقات. فاخبر رئيس الدير الاب شيرلو الكرمليّ بما جرى لهُ فآنسهُ الاب وارشدهُ وحثّهُ على عبادة العذراء والانعكاف على الصلاة

وكان الرئيس الموماً اليه قد استدعى مصورًا مالطيًّا لينقش جدران كنيسة الكرمل بالدهون والألوان فجعل الياس الشاب تحت ادارته ليساعده في العمل. فلمّا كاد الشغل

(١ اخبر الفقيد احد رهباننا بهذه الرؤيا يومين قبل وفاته في دير تنائيل

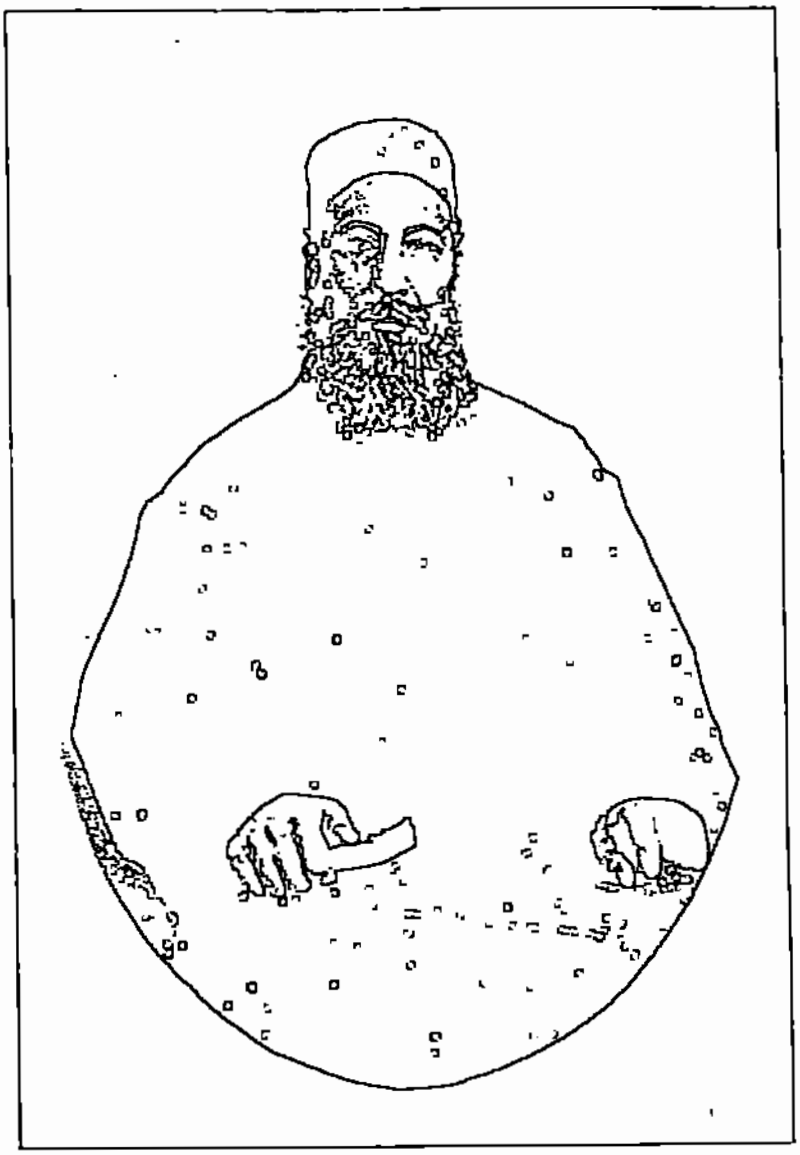

فقيد الطباعة

الاخ ماريّا الياس اليسوعي

ولد في ١٥ آب ١٨٦٠ توفي في ٧ ايلول ١٩٠١

يبلغ نصفهُ اضطرَّ المصوّر الى ان يبرح الدير . فبقي الرئيس مرتابًا في امره لا يعرف الى من يفوّض تتمة العمل . فأحسَّ ابن السائس بحيرة الرئيس وطيَّب قلبهُ ووعدهُ انهُ ينجز هو بنفسهِ هذا المشروع ومن ساعتهِ تحفَّز للعمل واتمَّ النقش على غاية ما يرام من الإحكام

وفي خلال هذا الشغل انعم الله على المرحوم بنعمة جديدة ثبَّتتهُ في دعوتهِ وحملتهُ على تعجيل نيَّاتهِ الصالحة . فانهُ اذ كان يومًا فوق الصقالة التي تحت القبَّة وهو يشتغل بنقشها اذ دخل الكنيسة بعض الزوَّار ومن جملتهم الوجيه لويس كتناكر فكأنَّ المصوّر حانت منهُ التفاتة الى الداخلين فخانتهُ رجلهُ وسقط من علُ . فظنَّ الجميع انهُ هالك لا محالة يتهشَّم عند وصولهِ الى الحضيض فما اعظم ما كان اندهاشهم اذ رأوهُ منتصبًا بينهم وهو سالم ليس فيهِ اذًى . واخبر انهُ شعر وهو في الهواء بيد تمسكهُ ورأى شيخًا جليلًا أنزلهُ الى قرار الارض بهدوء وسكينة . فلم يشكّ الحضور انَّ مخلّصهُ هو صاحب المقام القديس الياس العظيم . وذلك ما حمل الشاب ان يتَّخذ لهُ اسم الياس شكرًا لهذا النبي الجليل عن خلاصهِ كما انهُ أضاف اليهِ اسم مريم لما نالهُ من النعم بشفاعة العذراء الطاهرة (١

ثمَّ اخذ الياس منذ ذاك الحين يطلب الوسائل لتحقيق رغائبهِ وترك العالم الغرور . فلمَّا كانت السنة ١٨٥٦ قدم جبل الكرمل الدكتور بيني (Bini) احد اطبَّاء جيش نابوليون الاول سابقًا ونزل ضيفًا كريمًا في دير الكرمل وكان ابن السائس يخدمهُ بامر الرئيس فسرَّ بهِ الدكتور وتفرَّس فيهِ ملامح النجابة والذكاء . وسألهُ هل يريد ان يأتي في خدمتهِ الى بيروت ليهتمَّ بتعليمهِ ويسهّل لهُ اتباع دعوتهِ . فأجابهُ انَّ ذلك غاية ما يتمنى وأقنع اخاهُ يوسف ان يصحبهُ

فوصل الدكتور بيني الى بيروت وسلَّم الولدين الى بعض الافاضل لتثقيفهما بالعلوم وتمهيد الطريق دون دعوتهما الالهيَّة . الَّا ان العوائق العديدة تصدَّت لهما وحالت دون اتمام مرغوبهما واضطرَّا الى ان ينتقلا الى حريصا ثم الى زحلة فغزير فبيروت وأظهرا في كلّ هذه الامكنة من الثبات في سبيل الله ما اذهل الجميع ودفع من عرفهما الى ان يصرخ : « ان اصبع الله هاهنا »

وفي آخر الامر فُكَّت اغلالهما وأُطلق سبيلهما وسارا الى فرنسة حيث انتظما في

(١ سمعنا هذا الخبر من فم اخيهِ عبد الله

سلك الرهبانيّة اليسوعيّة فاحسّ اليـاس مذ ذلك اليوم انهُ دخل مينا الخلاص وشرع يرتاض بالرياضات الرهبانيّة ويبني ذلك الصرح العالي الذي اشار اليـهِ المسيح وهو برج الكمال الذي بلغ ذروتهُ بعد زمن قليل. وكان كلُّ رفقتهِ يتعجّبون من نشاطهِ في خدمة الله وعبادتهِ الصادقة وتجرُّدهِ من كل الامور الفانية حتى اتخذوهُ في مهد حياتهِ الروحيّة كمثال حي لكل الفضائل الرهبانيّة التي لا يُرى كمالُها في التالب الّا في الشيوخ

ولو اردنا ان نسترسل في ذكر فضائل الاخ اليـاس لاتّسع بنا المجال فاننا رأيناه وعشنا بجواره مدّة سنين عديدة فلم نجـد في تصرُّفهِ وسلوكهِ غير صورة رجل الله لا يكترث لشيء من الامور الزائلة ولا يطلب في اعمالهِ غير مرضاة ربّهِ والطاعة لرؤسائهِ

وكان يخدم الله بسذاجة ويستنكف عن الجاه البشري والفخفخـة الباطلة ولذلك كان يسكت عن امورهِ الشخصيّة ويحبُّ الاختلاء عن الناس والتردُّد مع الله في الصلاة. وكان بلغ من الايمـان درجة سامية تراهُ مستعدًّا لان يهرق حتى آخر نقطة من دمهِ في سبيل هذه الموهبة الالهيّـة. وكان في كلامهِ مع القريب يسعى في حملهِ على التقوى والاعمال الصالحة واذا رآهُ متردّدًا في ايمانهِ كان يفرغ الجهود في درء الشكّ عنهُ وحلّ مشكلاتهِ الدينيّة

امّا نظافة عيشهِ وتقشفاتهُ فكانت عجيبـة. الّا انهُ كان يستر اماناتهِ عن نظر الناس. ولو لم يكن لهُ من الفضل سوى عيشتهِ بين فعلة المطبعة مدّة ثلاثين سنة كأنهُ الواحد منهم بل اصغرهم لكان ذلك كافيًا لبيـان عظم تقانيهِ وتواضعهِ. وكم من مرّة رأيناهُ بعد ان صرف صلب نهارهِ في الاشغال الشاقّة يلحُّ على الرؤساء لكي يسخروهُ في الليل بضروب الخدم ويكلّفوهُ الكلف الشتّى بدلًا من اخوتهِ الرهبان وكان الرؤساء يقصدونهُ بكل ثقة لعلمهم انهُ مستعدٌّ ابدًا لبذل ذاتهِ وتضحية نفسهِ لخير الجمهور

٢

على ان الاخ الياس لم يقضِ قطّ بين الرهبان عيشةً بارّة بل نفع جمعيّتهُ ووطنهُ باعمال ذات شأن قلَّ من يأتي بمثلهـا. فانهُ لمّا عاد من فرنسة بعد اتمامهِ الامتحانات الرهبانيّة وتأصُّلهِ في الفضيلة أُرسل اوّلًا الى ديرنا في معلّقة زحلة وكان هناك مبتمٌّ فيـهِ نحو مئة ولد فتولى ادارة الحدادة وعلّم هذه الصناعة كثيرين من اليتامى ثمَّ أُرسل الى مدرستنا في غزير فبقي فيها خمس سنوات يخدم هذا الدير بغيرة لا تعرف الملل

الا ان الله كان اختاره ليقوم بعمل آخر اهمّ من ذلك واعمّ نفعاً. فلمّا كانت سنة ١٨٦٩ رأى رئيس رسالتنا العامّ الاب امبروسيوس مونو ان يوسّع نطاق مطبعتنا في بيروت ويجهزها بالآلات الطبعيّة الجديدة ويجعلها شبيهة بالمطابع الاوربيّة فلم يجد رجلاً اقدر على هذا المشروع الجليل من الاخ الياس. فباشر هذه الصناعة بما كان مطبوعاً عليه من الاقدام والنشاط واخذ ينظر في كل آلات هذا الفنّ حتى ادرك تركيبها. ثمّ حاول ان يجعل أمهات الحروف بواسطة الكهربائيّة فاصاب بعض النجاح واحبّ لو أتيح له ان يدخل مدّةً في معامل اوربّا الكبرى. فارسلهُ رئيسهُ سنة ١٨٧٣ الى باريس ليزاول هناك اشغال مهنتهِ في مطبعة الدولة. فذهب الاخ الى عاصمة فرنسة وطاب الى مدير المطبعة العمومية ان يدخلهُ في عداد عملتهِ. فأجابت المديرَ هيئتهُ الشرقيّة وطلاقة وجههِ قبلهُ وامر ناظري المطبعة ان يساعدوهُ في باوغ وطرهِ فشرع ينكبّ على اعمال الطباعة كأنّهُ احد العملة وهو مع ذلك لابس ثوب الرهبان المرسلين فما مرّ عليهِ سبعة اشهر حتى ادرك كلّ أسرار هذا الفن وعرف طرائق طبع النقوش الناتئة الملوّنة حتى انّهُ تمكّن قبل وداعهِ لمدير المطبعة ان يقدّم لهُ تقريظاً جميلاً مزيّناً بالألوان كان صفّهُ وهندسهُ وطبعهُ بيدهِ. ثم رحل الى لندرة ودخل ايضاً دار طباعتها الكبرى وتعلم هناك فنّ التنجيس وكان للانكليز طريقة يحافظون عليها كسرّ مصون فتمكن الاخ الياس من تعلّمها وعاد بعد سنة الى بيروت مهيّأ ليغني مدينتنا بكل الاختراعات الاوربيّة

وقد بقي فقيدنا ثلاثين سنة بنيف يدير مطبعتنا الكاثوليكية بهمّة متواصلة ونجاح عجيب. وقد بيّنّا في مقالتنا عن هذه المطبعة (المشرق ٣: ٧٠٩) كيف دخلت في ايّامهِ في طور جديد وما استحضر لها الرؤساء من الادوات النفيسة. وكان كلّ ذلك بهمّة الاخ الياس حتى انّ من دخل اليوم مطبعتنا لا يجد فيها اداةً واحدة لم يكن لهُ في تحصيلها او تركيبها او اصلاحها القسم الاكبر وليس كتاب من التآليف التي نُشرت فيها الّا ولهُ في اتقانهِ وحسن طباعتهِ النصيب الاوفر. فبفضلهِ صارت هذه المطبعة نسيج وحدها في كل الديار الشرقيّة فتراها اليوم بعدهُ كانها اليتيمة تبكي علّة وجودها ومنعش حياتها

وكان الاخ الياس مع عنايتهِ بالمطبعة اكثر اهتماماً بعملتها لا يعيش الّا لصالحهم وكان يتفقّدهم وهم احداث فيربّيهم تربية الامّ لبنيها فكنت تراهُ مكرّماً من الجميع

لا يقع عليه نظرهم حتى يبشّ وجههم وينشط خاطرهم. وكان الاخ يهتمّ بجميعهم دون استثناء. ويسعى في تعليمهم ويُسر بنجاحهم ويرقّيهم الى الاشغال المهنّة ويثيبهم حسب نشاطهم وكان يلحظهم لئلاّ يُصاب منهم احدٌ بأذى الآلات. واذا جُرح بعضهم كان يشاطره في ألمه ولا يزال يهتمّ بامره الى ان ينال تمام الصحّة. وكذلك كان يفتكر بالمرضى فيعودهم ويسعى لهم باطبّاء يمرّضونهم ويتحفهم بما امكنهُ من المساعدات وكان يفرض على نيّاتهم صلوات خصوصيّة لشفائهم

الّا انّ التفات الاخ الياس لخير عيلته الروحيّ كان اعظم منهُ لخيرهم الزمني. فكنت تراهُ يستنفد الوسع لتثقيف طباعهم فانهُ كان يسهر عليهم ويراقب آدابهم ويطرد من بينهم من انتهك حرمتها. وكان يحضّهم على المحبّة الاخويّة والتودّد ورقّة الطباع

وكان يبذل قصارى جهدهِ في ان يطبع في قلوبهم روح الدين فلا يدعهم يباشرون الشغل الّا بعد الصلاة وكذا في وسط النهار وفي آخره كان يرقي بافكارهم الى الله خالقهم. وكان يدرج اسماءهم في الاخويّات التقويّة ويرشدهم الى المثابرة على الاسرار والتعبّد لقلب يسوع الاقدس وللبتول الطاهرة وخطيبها الجليل. وكان يجمعهم مرارًا ليسمعوا القراءات الروحيّة وشرح التعليم المسيحيّ

ومن جملة الوسائط التي كان يلتجئ اليها انهُ كان يقضي معهم فرصة الظهر بعد الغداء. فيقصّ عليهم قصصًا كان ينتخبها من تاريخ الكنيسة واعمال الشهداء واخبار اولياء الله او مشاهير رجال الدين. فكان العملة يحدقون بهِ ساكتين كأنّ على رؤوسهم الطير يسمعون لهُ ويصغون الى كلامهِ بملء الرغبة والشوق

ومنها ايضًا انهُ كان يصنّف لهم روايات ادبيّة ودينيّة يعلّمها البعض منهم في اوقات الفراغ فيشخصونها في أوان الرفع او بعض الاعياد الكبيرة. وكان يدعو الى هذه الروايات اهل البلد فيتعجب الكلّ من حذاقة المشخصين وتمام اهبة التشخيص

ومنها ايضًا انهُ كان يأخذهم في كل سنة يوم عيد العنصرة الى مزار شهير ليتمّموا فيهِ الفرائض الدينيّة ثمّ يروّحوا البال بالفرجة والتنزّه. وكان الاخ المدير في ذلك اليوم يخدم الجميع ولا ينسى غير نفسهِ

الّا انّ حبّهُ لاحداث الفسحة كان اعظم منهُ لغيرهم فانهُ كان يجمعهم كل يوم احد ويروّح خاطرهم ببعض الالعاب الادبيّة ويخرج معهم الى التنزّه فيصرفون بصحبتهِ

ساعات من الهناء لم يجدوها في بيوتهم. وبهمّته وامثاله الطيّبة قد زرع في قلوب كثيرين بذر الدعوة الاكليركيّة او العيشة الرهبانيّة نعرف منهم اساقفة وكهنة ورهبانًا فاضلين لا يزالون يذكرونهُ بالخير وينسبون اليهِ حتى اليوم دعوتهم الصالحة

على انَّ الاخ الياس لم يقصر محبَّتهُ لابناء مطبعتنا بل كان اذا سنحت لهُ الفرصة يؤدّي الخدم لكل من يلتجئ اليهِ. ومن جملة هؤلاء ارباب المطابع فانّنا لا نظنّ انَّهُ منذ ثلاثين سنة أُنشئت في بيروت مطبعة الّا وساعد الاخ اصحابها على انشائها وتنظيم ادواتها وقد عرفوا لهُ فضلهُ وكانوا بعد وفاتهِ لسانًا واحدًا على شكر صنيعهِ

مرَّ على فقيدنا في هذه الحالة من التفاني وبذل الذات احقابٌ عديدة حتّى انهكت قواهُ اشغالهُ المفرطة غير انهُ بقي مداومًا على العمل لا يطلب راحة حتى اضطرَّهُ الرؤساء الى ان يذهب الى ديرنا في تمنايل منذ شهرين لعلَّهُ يجد في تغيير الهواء إصلاحًا لصحَّتهِ. فاجاب الى امر الرؤساء وقلبهُ عند عملة مطبعتهِ يتمنَّى ان يعود اليهم قريبًا لكنَّ الله رأى عبدهُ اهلًا بالجزاء فقوي عليهِ المرض وكابد بصبر جميل مرَّ الاوجاع مدَّة ثلاثة اسابيع اعطى في اثنائها لاخوتهِ مثال الراهب الكامل الى ان توفاهُ الله ليلة عيد ميلاد البتول فاستحقَّ ان يلد للسماء يوم وُلدت العذراء لخلاص البشر وباركت في احد اعيادها وفاتهُ كما باركت يوم ولادتهِ في عيد انتقالها وباركت يوم دخولهِ في الرهبانيَّة يوم حُبل بها بلا دنس

وهنا كان ينبغي لنا ان نصف ما حاق من الحزن والالم باصحابهِ يوم بلغهم خبر وفاته. امَّا عمَّتُهُ فحدِّث عن اساهم ولا حرج فبكوهُ ولا بكاء الابن لاعزّ الوالدين واقاموا لراحة نفسهِ الصلوات الحارَّة وخصَّصوا لذلك قدّاسًا تقرَّبوا فيهِ الى الاسرار. وحضر هذه الحفلة كثيرون من اهل البلد نخصّ منهم بالذكر بعض ارباب المطابع الذين اعربوا عن اكرامهم للمرحوم وقاسموا اهل المطبعة اسفهم. وقد أبنهُ واحدٌ من ابناء مطبعتنا باسم رفقتهِ برثاء نقتطف منهُ هذه الابيات نجعلها ختامًا لهذه النبذة الموجزة

لمَّا ثوى الياسا تحت الثرى ... بتنا نصعّد بالاسى زفراتنا
خطبٌ ألمَّ بنا وقد أصلى الحشى ... نارًا فاهطل كالدما عبراتنا
يا راحلًا لم يُبقِ غير الحزن في ... شبّانتا وشيوخنا وبناتنا
لو تفتدي يا من تركت لنا الجوى ... افديت يا طود التقى بحياتنا

# تاريخ دير مار انطونيوس الملقَّب بقزحيَّا

## نبذة تاريخيَّة لحضرة الاب الفاضل نعمة الله الكفري

اثبتنا في عدد سابق (راجع المشرق ٤: ٣٦١—٣٦٨) تاريخ دير قزحيا ولخَّصنا اخبارهُ عن الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات منذ اول انشائهِ الى زمن انقسام الرهبنة الى حلبيَّة وبلديَّة وذلك سنة ١٧٦٨. فبقي علينا ان نُجمل الكلام عن تاريخ الدير المنوَّه بهِ منذ ذلك العهد الى يومنا فنقول:

انَّ دير قزحيَّا زاد اتساعاً في أواخر القرن الثامن عشر ونمت املاكهُ وكثر رهبانهُ. ومما أحرز لهُ حينئذٍ شهرة كبيرة مطبعتهُ التي ورد ذكرها في المشرق (٣: ٢٥١) في تاريخ فنّ الطباعة. والذي احضر هذه المطبعة الاخ سارووفيم الشوشاني (حوقا) البيروتي المتوفَّى سنة ١٨١٤. كان هذا الراهب الفاضل أُرسل الى رومة في عهد الاب عمانوئيل الرشماوي الرئيس العام على الرهبنة ليقوم بطبع الشبيَّة المارونية بالحرف الكرشوني على نفقة رهبانيَّتهِ فلمَّا تمَّ طبعها سنة ١٧٨٤ تحت مناظرة الاب سمعان خُضير معلِّم العبرانيَّة في المدرسة الرومانيَّة عاد الى لبنان ومعهُ المطبعة المذكورة مجهَّزة بكل أدواتها ولوازمها فجعلها اولاً في دير مار موسى الحبشي الملقَّب بالدوَّار وطُبع هناك كتب قليلة كخدمة القداس (١٧٨٥) ثم كتاب القداس والرسائل والشحيمة الكاملة. ومن هذه المطبوعات ما طُبع بالحرف السرياني الدقيق

ولمَّا صار زمام الرئاسة العامَّة في يد الاب اغناطيوس بليبل نُقلت المطبعة الى دير قزحيَّا نحو سنة ١٨١٥ (١. ثم امر سنة ١٨٢٠ الاب ارسانيوس النيحاوي رئيس الدير ان يخصِّص لها بشرقي الدير محلاً منفصلاً عنهُ قليلاً فبُني قبو عقد كافٍ لادارتها ولوازمها وفوقهُ محلّ للمطبوعات وتجليدها. فتمَّ ذلك على يد الاب عبد الله الاهدجي الشهير وقتئذٍ بمتانة

---

١) ونحن نظن ان المطبعة نُقلت الى دير قزحيا قبل ذلك بنحو ١٠ سنوات والدليل على قولنا انهُ يوجد نسخة من الشبيَّة مطبوعة بدير قزحيا تاريخ طبعها سنة ١٨٠٨ (راجع المشرق ٣: ٢٥٧)

أبنيته. وأضيف الى البناء ممشى شرقي يُعرف الى يومنا باسم الرئيس المذكور مع انهُ لم يتمّ الّا في زمن خلفهِ الاب مرقس الشنتيري بنـاهُ الاخ يوسف المعادي. وكان دولاب هذه الطبعة من الخشب يُمدّ الحبر على حروفها بمحابر من جلد ثمّ بُدل دولابها بدولاب صغير من حديد. ولمّا كانت السنة ١٨٧١ اشترى رئيس قزحيا الاب دانيال الحدثي من المرحوم رومانوس بين الاهدني مطبعتهُ فاتخذها بدلًا من المطبعة القديمة (راجع المشرق ٤: ٤٧٤). اما قائمة المطبوعات التي نُشرت في قزحيا فقد ظهرت لاختها في هذه المجلة (٣: ٢٥٧) فلا حاجة الى التكرار. وقد تولى ادارة مطبعة قزحيا منذ نشأتها ثلاثة من رهبانها الافاضل وهم الاخ ساروفيم حوقا ثم الاب مرقس اهيج ثمّ الاب مارون ايطو وهو مديرها الحالي

وفي سنة ١٨٤٢ بنى الاخ عبد الله الخبّاز جسرًا لطاحون نهر ابي علي خاصة دير قزحيا حينئذٍ وكان الاخ المذكور تلقى فن البناء على الاب عبد الله الاهمجي. وبنى ايضًا سنة ١٨٥١ جسرًا لنهر رشعين في ملك دير قزحيـا على عهد رئيسهِ الاب اندراوس القرطباوي وكان رئيسًا عامًّا على الرهبانيّة الاب لورنسيوس الشبابي

وفي سنة ١٨٥٦ توفي في محبسة مار بولا السابق ذكرها الراهب انطونيوس الصفابي كان ذا سيرة فاضلة جدًّا اختلى في هذه المحبسة فسكنها سنين عديدة وكان يقضي اكثر زمانهِ في الصوم والصلاة لا يأكل الّا مرّة واحدة في النهار عند المساء وكان طعامهُ الخبز وحدهُ يغمسهُ في قليل من الزيت. وكان سبقهُ في هـذه المحبسة كثيرون من افاضل الرهبان منهم الاب اليشاع المعادي الذي صرف أعوامًا عديدة في التأمل والصلاة وكان اذا صلى دخل مغارة صغيرة فوق المحبسة فبسط يديه على شكل صليب لا يثنيهما واذا تحدّرتا سندهما الى حبل معلق بسقف المغارة كما شهد على ذلك رهبان كانوا يرقبونهُ

وفي سنة ١٨٥٥ ترأس على دير قزحيـا الاب اغناطيوس شكري الديراني فشرع بعمار القسم الغربي من الدير بازاء الابنية التي شيّدها الاب ارسانيوس فهدم البناء القديم ثم بنى اقبية واقام فوقها قلالي وحُجرًا وفرشها بالبلاط وهندس لهذا الطابق ممشى لجهة النهر برواقٍ وقناطر مرتفعة فانتهى من هذا العمل سنة ١٨٥٧ وقد انفق عليهِ ١٦٠٠٠٠ غرش. وكان اذ ذاك الرئيس العام على الرهبنة الاب عمانوئيل المتيني

وفي سنة ١٨٦٤ أُقيم لرئاسة الدير الاب بطرس بجدرفل وكان المذكور تلقى بعض

العلوم في مدرسة الاباء اليسوعيين في غزير . فاول ما صرف اليه همتهُ توسيع الكنيسة . وكانت قبلًا مغارة ذات جدار واحد من جهة الجنوب فهدمهُ ونقر الصخر حتى اتسعت الكنيسة طولًا وعرضًا ثم اقام جدارًا جديدًا من الحجر الشاقي المنحوت الجبلي استحضره من مقلع بين اهدن وعرية قزحيا . اما الابواب والشبابيك فنقل احجارها من مقلع جبل حصرون . فاصبحت بذلك الكنيسة كبيرة بديعة ثلثا سقفها من اصل المغارة والثلث الآخر من عقد الحجارة . ثم اتخذ لها منجورًا فاخرًا ووكل الى عملة من حلب ان يبلطوها بالرخام واقام لها اربعة مذابح لجهة الصخر المتقور ومذبحًا خامسًا في الحائط باسم السيدة . وجهَّزها بحلل كنسيَّة فاخرة . وكان اوصى لها بمذبح وعواميد رخام ودفع لذلك ٣٠٠٠ غرش الَّا ان العمل لم يتمّ الَّا في ايام رئاسة خلفهِ الاب رافائيل عوَّاد الحصروني الذي انجز هذا المشروع وزيَّن الكنيسة بصور جميلة وبلغ مجمل كلف تجديد الكنيسة مع لوازمها ١٢٩٦٩٦ غرشًا وكان الرئيس العام وقتئذٍ الاب افرام البشراني

امَّا منزل الزوَّار غربيّ الدير فكان الساعي بهِ الاب مارون الصفابي لمَّا تولى الرئاسة من السنة ١٨٨٦ الى ١٨٩٠ فبنى ردهةً كبرى لاستقبال الضيوف واربع قلالي مع تمشى وايوان للغرب على ظهر القبو . واكمل هذا العمل الاب بطرس التولاوي مدَّة رئاستهِ وجهَّز هذه الدار بالاثاث والامتعة وكان هذا الاب من افاضل الرهبان تلقَّى العلوم بمدرسة الآباء اليسوعيين في غزير وقد استأثر الله بهِ منذ اشهر قليلة

امَّا املاك دير قزحيا فهي وافرة جدًّا منها في الساحل ومنها في الجرد . والبعض منها اوقاف حبسها المحسنون على الدير لاسيما في زاوية طرابلس تبرَّع بها المشايخ من بيت الظاهر وغيرهم . امَّا القسم الاعظم فهو مشترى اقتناهُ الرهبان بشغلهم وجدّهم والفضل في ذلك عائد خصوصًا للاب اغناطيوس بليبل الذي ضبط ازمَّة الرئاسة العامَّة مدَّة سبعة مجامع متواصلة اي من سنة ١٨١١ الى ١٨٣٢ وكان قبل ذلك أقام باعباء النيابة العامَّة سنتين لوفاة الاب عمانوئيل جميل سنة ١٨٠٨ وفي ايامهِ نمت الرهبانية نموًّا عظيمًا بالروحيَّات والزمنيَّات فشيَّد اديرة كثيرة وجدَّد الاملاك وأعاد الرهبان الى حفظ قوانينهم ورسومهم . وأقام الاخ مارون البجداتي على نظارة الاملاك وكان وجلًا تقيًّا ذا فطنة وغيرة على نجاح الرهبنة . فنصب أغراسًا كثيرة من التوت والزيتون فتوفَّرت مداخيل الدير بذلك وعمَّر طواحين على نهر رشعين وكذلك زادت مداخيل الاملاك في الجرد وكان

ايضاً الزوّار يُجزلون الصدقات على الدير لاسيّما بعد ان نال كثيرون منهم الشفاء فيه بشفاعة صاحب المقام القديس انطونيوس الكبير

ومن جرّاء هذا النجاح كثر عدد الرهبان حتى بلغ المئة فاضطرّ الرؤساء الى ان يخفّفوا عبء هذا الدير فأقاموا لذلك ثلاثة أديرة في الساحل انتصبت منهُ وهي دير الجديدة شرقي قرية كفر زينا على اسم مار انطونيوس ابي الرهبان ثمّ دير عشاش شمالي الزاوية فوق مدينة طرابلس على اسم مار جرجس أُنشئا سنة ١٨٤٦ على عهد رئاسة الاب عمانوئيل الشبابيّ العامّة. ثم دير بصرما على اسم سيدة النجاة في كورة طرابلس أُنشئ سنة ١٨٧٦ ايام كان رئيساً عامّاً على الرهبنة الاب مرتينوس الغوسطاوي. وقد جُهزت هذه الاديرة بكل ما يُقتضى لمعاش الرهبان وجُعل لكل دير أملاك يتولى الاخوة شؤونها. وكان الفضل في بناء دير بصرما للاب دانيال الحدثي الذي امتاز بالبرارة والفضائل ومات برائحة القداسة فدُفن في دير مار سركيس ولا تزال الكرامات تظهر فوق قبرهِ حتى اليوم

وفي سنة ١٨٥٥ استُحضرت مطبعة عربيّة لدير السيدة في طاميش ودفع دير قزحيا خمسين الف غرش من ثمنها. وكان ذلك بواسطة الدكتور ابرهيم افندي الديراني الطبيب. وقد ادرج المشرق قائمة مطبوعاتها سابقاً (٤: ٤٧٣)

وقد أُخذ من أملاك قزحيا في الجرد قسم قليل أُعطي لدير راهبات مار سمعان العموديّ المعروف بمار سمعان القرن وذلك لمّا سلّم المرحوم المطران بولس رزق مطران طرابلس تدبير هذا الدير للرهبان البلديين سنة ١٨٦٤ وموقعهُ فوق عربة قزحيا قبليّ قرية قيطو وكان يسكنهُ ست راهبات. فوفى الاب افرام البشراني الرئيس العام ديونهُ واشترى لهُ أرزقاً من دخل وظيفتهِ ومن املاك دير قزحيا وجعلهُ ديراً كبيراً. وكذلك خصّص لمدرسة بان التي تخصّ الرهبنة بعض املاك اخذها من دير قزحيا. ومع كلّ ذلك لا يزال رهبان هذا الدير نحو سبعين راهباً وقاهُ الله من صروف الدهر وابقاهُ فخراً وملاذاً للرهبنة وللطائفة بدعاء صاحب المقام

وتتمّةً للفائدة قد ألحقنا بهذه النبذة لائحة اسماء الرؤساء الذين دبّروا دير قزحيا منذ انشائهِ نقلاً عن سجلّات الرهبانيّة:

| اسماء الرؤساء | ابتداء رئاستهم |
|---|---|
| جبرائيل قرسات | ١٧١٠ |
| ميخائيل . . . | ١٧١٥ |
| يمين . . . | ١٧٢٣ |
| جرجس القشوع (١) | ١٧٢٥ |
| مبارك الفوسطاوي | ١٧٢٧ |
| مارون الدرعوني | ١٧٣٥ |
| بولس يونان السمراني | ١٧٤٠ |
| مبارك عيد | ١٧٤٣ |
| جرجس القشوع (٢) | ١٧٤٥ |
| ميخائيل شوشان | ١٧٥٠ |
| ميخائيل عيد | ١٧٥٤ |
| (مفقود الاسم) | ١٧٥٧ |
| عبد الاحد كفركدي | ١٧٦٠ |
| (الاسم مفقود) | ١٧٦٢ |
| ارميا الكفروني (١) | ١٧٦٥ |
| شربل الحويس | ١٧٦٩ |
| نعمة الله الحويس | ١٧٧٢ |
| ارميا الكفروني (٢) | ١٧٧٥ |
| بولس الزرعاني | ١٧٧٨ |
| مرقس المرقب | ١٧٨١ |
| ارميا الكفروني (٣) | ١٧٨٤ |
| اقليموس المكاري | ١٧٨٧ |
| اقليموس الشبابي (١) | ١٧٩٠ |
| ارميا الكفروني (٤) | ١٧٩٣ |
| ماتيا المتيني | ١٧٩٦ |
| انطونيوس بليبل | ١٧٩٩ |
| برنردوس الدبيه | ١٨٠٥ |
| جبرائيل الدبراني | ١٨٠٨ |
| اقليموس الشبابي (٢) | ١٨١٠ |
| برنردوس التربري | ١٨١٤ |

| اسماء الرؤساء | ابتداء رئاستهم |
|---|---|
| ارسانيوس الشيحاوي | ١٨٢٠ |
| مرقس الشنتيري | ١٨٢٣ |
| مكاريوس وادي شمرور (١) | ١٨٢٦ |
| عمانوئيل الشبابي | ١٨٣٢ |
| مكاريوس وادي شمرور (٢) | ١٨٣٥ |
| نعمة الله الحصروني | ١٨٣٨ |
| سابا الناقوري | ١٨٤٠ |
| اغناطيوس مركيس | ١٨٤٢ |
| يوسف البشراني | ١٨٤٥ |
| اغناطيوس شكري (١) | ١٨٤٧ |
| اندراوس قرطباوي (١) | ١٨٥١ |
| اغناطيوس شكري (٢) | ١٨٥٣ |
| ليباوس تنوري | ١٨٥٦ |
| اندراوس القرطباوي (٢) | ١٨٥٩ |
| بطرس مجدرنل | ١٨٦٢ |
| دانيال الحدتي | ١٨٦٥ |
| روفائيل البزعوني (١) | ١٨٧١ |
| رافائيل الحصروني | ١٨٧٥ |
| انطونيوس الحصروني (وكيل) | ١٨٧٧ |
| عمانوئيل الرشماني | ١٨٧٧ |
| مارون ايطو (١) | ١٨٨٠ |
| رافائيل البزعوني (٢) | ١٨٨٤ |
| مارون ايطو (٢) | ١٨٨٥ |
| مارون صنابي | ١٨٨٦ |
| عمانوئيل البشراني | ١٨٩٠ |
| بطرس تولا | ١٨٩٠ |
| مارون ايطو (٣) | ١٨٩٤ |
| مارون سرعل | ١٨٩٥ |
| افرام سرعل | ١٨٩٧ |
| انطونيوس المشمشاني الحالي | ١٨٩٩ |

وهذه اسماء المتوفين برائحة القداسة نقلاً عن روزنامة الدير المذكور :

| اسماؤهم | سنة الوفاة | اسماؤهم | سنة الوفاة |
|---|---|---|---|
| الاب اغاطيوس من زوق مصبح (١ | ١٨١٤ | الاب اكليمنضوس الشوري | ١٨٣٧ |
| الاب انطونيوس الحبيس (٢ | ١٨٢٥ | الاخ مرتينوس النزيري | ١٨٣٩ |
| الاخ نوهرا المتني (٣ | ١٨١٧ | الاخ جرامبسوس اللحفدي | ١٨٣٩ |
| الاب اليشاع المادي (٤ | ١٨١٩ | الاخ مبارك الموصلي | ١٨٥٦ |
| الاب حنانيا الشوري | ١٨٢١ | الاب انطونيوس الصقلي (٦ | ١٨٥٦ |
| الاب يوسف بكاسيني | ١٨٥٦ | الاب جبرائيل الشبابي | ١٨٦٤ |
| الاخ لورنسيوس من سقي لند | ١٨٢٣ | الاخ باخوس اليافي (٧ | ١٨٧١ |
| الاخ ميخائيل الطرابلسي | ١٨٣٤ | الاب حنانيا الحصروني | ١٨٨٩ |
| الاب انطونيوس الزوقي | ١٨٢٥ | الاب دانيال البشراني | ١٨٩٥ |
| الاب جبرائيل البزعوني (٥ | ١٨٣٢ | الاب هارون سرعل | ١٨٩٨ |
| الاب جبرائيل الديراني | ١٨٣٣ | | |

هؤلاء الذين اطرأت الروزنامة حسن سيرتهم ومزيد فضلهم وذكرت كثيرين انهم ماتوا ميتة صالحة لم اتعرّض لذكرهم واهملتُ ذكر بعضهم مثل الاخ مبارك من الدبيّة والاخ ارميا العكاري المشهود لهما بحسن السيرة من سكّان الدير الذين عاصرونهم

# تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق ص ٥٢٠)

## فنّ الطباعة في الشام (تابع)

في آخر كلامنا عن فنّ الطباعة في المشرق انجزنا تاريخ المطابع في لبنان فلم يبقَ

١) وهو الذي شيّد دير اللويزة واوهبهُ للرهبنة
٢) بعد جهاده مدات حبس نفسهُ ضمن قلاية سنتين حبساً تاماً وعرف ساعة وفاته قبل بومين
٣) حفظ نذورهُ مدققاً ولم يكن يرتد الّا على قطعة بسالخ من شعر
٤) كان حبساً مكث في الحبسة ٣٥ سنة والتقليد يشهد بسموّ فضلهِ
٥) اشتهر بتجلُّدهِ للمذراء المجيدة
٦) ومن اعمالهِ كان لا يأكل سوى الخبز والزيت
٧) رؤي حال تراعهِ حمامة بيضاء ترفّ فوقهُ وبعض الشهود احياء

علينا لنستوفي المقال عن بلاد الشام ومطبوعاتها الا ان ندوّن احوال الطباعة في دمشق وطرابلس

٦ المطابع في دمشق

١ (المطبعة الحنفيّة) اقدم مطبعة ظهرت في دمشق كان احضرها من اوربّة المرحوم حنّا الدوماني سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ م) اشتغل بها بضع سنين ثم ابتاعها جناب الاديب سليم المدوّر فاضافها الى مطبعته السليميّة التي مرّ ذكرها سابقاً في المشرق (٤: ٨٨) ثمّ انتقلت الى حنّا عدّاد ثمّ الى جناب محمّد افندي الحنفي سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢ م). ولا نعرف من مطبوعات هذه المطبعة قبل مصيرها الى يد الحنفي الّا النزر القليل. من ذلك كتاب المزامير طُبع سنة ١٨٦٥ وكرّاسة عشيّة الاحد (١٨٥٦. ص ٨). وكذلك اتمّ جناب سليم افندي المدوّر في دمشق ديوان احمد الحلوف الذي باشر في طبعه في بيروت (راجع المشرق ٤: ٨٨). وطبع ايضاً نزهة الارواح ومرتع الافراح للقسّ نعمة الله البواري (١٨٧٤. ص ٢٠) وغير ذلك ممّا لا علم لنا به. اما جناب محمّد افندي الحفني فهذه قائمة مطبوعاته مرتّبة حسب تاريخ صدورها:

١ شرح صلوات عبد السلام بن مشيش لعبد الرحمان الكردي (١٣٠٠–١٨٨٣. ص ١٥) = ٢ تحفة الاخوان في حفظ صحّة الابدان للدكتور داود افندي ابي شهر (ﻫ ص ٢٨٠) = ٣ تحبير المقالة في الحيلولة والكمالة السيّد محمود بن حمزه مفتي الشام (١٣٠١–١٨٨٤ ص ٦) = ٤ كتاب كشف الطرّة عن الترّة للسيد محمود افندي الآلوسي (ﻫ ص ١٨ و٤٧٧) = ٥ شرح الدور الاعلى للشيخ محمد عقارقجي الطرابلسي (ﻫ ص ١٣٠) = ٦ متن الاجرومية والعوامل (ﻫ ص ٢٢) = ٧ ديوان الامير منجك باشا المتوفّى سنة ١٠٨٠ هـ–١٦٦٩ م (ﻫ ص ١٥٥) = ٨ ديوان احمد بك الكيرانيّ الدمشقي المتوفّى سنة ١١٧٣ هـ–١٧٥٩ م (ﻫ ص ١٩٩) = ٩ تحقيقات جيّدة وتدقيقات سنيّة في تحقيق معنى الوجود للشيخ عمر افندي العطّار (ﻫ ص ١٠) = ١٠ كتاب ايضاح الدلالات في سماع الآلات للشيخ عبد الغني النابلسي صحّحهُ الشيخ عبد القادر بن عمر الشبهاني (١٣٠٢–١٨٨٥. ص ٤٤) = ١١ بتيمة الدهر في شعراء اهل العصر لابي منصور الثعالبي اربعة اجزاء مجموع صفحاتها ١٤٨٥ صفحة (١٣٠٢–١٨٨٥) = ١٢ سحر هاروت نظم سليم افندي عنحوري (ﻫ ص ٣٠٥). وبعض كراريس أُخر من صلوات وقصص وغير ذلك كمناجاة سيدنا موسى (ﻫ ص ٤٤) والوظيفة الشاذليّة ومولد السيدة عائشة الباعونيّة وشباك الاحقّ بالحضانة وقصّة بدر التمام واتحاف الانس في الملسين واسم الجنس. ونظنّ انّ في هذه المطبعة طُبع ايضاً كتاب للشيخ عمر افندي العطّار اسمهُ رسالة جيّدة في ترتيب العوالم العلويّة (١٣٠١–١٨٨٤. ص ١٤) = وكتاب فوائد فرائد وجواهر فلائد لهُ (ﻫ ص ١٠)

وهذه المطبعة الحقنيَّة بطلت عن العمـل منذ نحو ١٥ سنة لكثرة ما وجدت في طريقها من العراقيل

٢ (مطبعة ولاية سوريَّة) أُنشئت سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م). وفيها طُبعت جريدة سوريَّة سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥م) فيكون مرَّ عليها ٣٦ سنة منذ ظهورها وهي عربيَّة وتركيَّة ومدير هذه المطبعـة صاحب العزَّة مصطفى افندي واصف وبهمَّته قد تحسَّنت احوالها وزيد في آلاتها ولها مطبعة يمكن تدويرها بالبخـار. وفي هذه المطبعة تُطبع جريدة الشام التي برزت الى عالم الوجود منذ خمس سنوات. امَّا اخصُّ مطبوعاتها فهذه لاخترها على حسب تاريخها:

١ً رسالة في موضوع المنطق للشيخ عمر افندي المطار (١٢٨٧–١٨٧٠ص ٥) = ٢ً قواعد الاوقاف للسيد محمود افندي حمزه (١٢٨٨–١٨٧١ ص ٢٤) = ٣ً شرح القدوري للشيخ عبد الغني الميداني في الفقه الحنفي (١٢٩٠–١٨٧٣ ص ٢٨٦) = ٤ً بديع التلخيص وتلخيص البديع للشيخ العلَّامة طاهر بن صالح المغربي (طبع حجر) ١٢٩٥ – ١٨٧٨ص ٥٦) = ٥ً وظائف الاناث ترجما من التركيَّة مصطفى خلقي معلم الانشاء في المكتب الاعدادي (١٢٩٨–١٨٨٠ص ٦٦) = ٦ً وظائف الاطفال تربيةً (ﻫ ص ٤٤) = ٧ً نثر النظم وحلّ العقد للثعالبي (١٣٠٠–١٨٨٣ ص ١٦٤) = ٨ً المفاخرة بين الهواء والماء للشيخ احمد البربير (ﻫ ص ٢٢) = ٩ً الفوائد الهام في معرفة خواصّ الاجسام للشيخ طاهر افندي ابن صالح الجزائري (ﻫ ص ١٢٥) = ١٠ً كتاب مدّ الراحة لأخذ المساحة مع اربع صفائح للاشكال لهُ (١٣٠١–١٨٨٤ . ص ٢٠٨) = ١١ً عقود اللآلئ في الاسانيـد الدوالي لهُ (١٣٠٢–١٨٨٥ ص ٢٤٨) = ١٢ً مدخل الطلَّاب الى فنّ الحساب للشيخ طاهر افندي ابن صالح الجزائري طُبع ثلاث طبعات (الطبعة الثالثة ١٣٠٢ –١٨٨٥. ص ٤٨) = ١٣ً الاشارات الى اماكن الزيارات لابن الحورانيّ من اعيـان القرن العاشر (ﻫ ص ٢٧) = ١٤ً تسهيل المجاز الى فنّ المعمّى والالغاز (١٣٠٣–١٨٨٦ص ١٢٨) = ١٥ً الروض المُرتع في شرح زاد المستنقع في الفقه الحنبلي (١٣٠٣–١٨٨٦ ص ٤٢٢) = ١٦ً تمهيد العروض الى فن العروض للشيخ طاهر افندي ابن صالح الجزائري (١٣٠٤–١٨٨٧ص ٥٦ طبع حجر) = ١٧ً قوانين حكم الاشراف = ١٨ً الصفحة الادبية في الموسيقى العربيَّة لاحمد افندي سفرجلاني (١٣٠٥–١٨٨٧ص ٢٤) = ١٩ً عقد اللآل في الحكم والأمثال (طبع حجر ﻫ ص ٢٠) = ٢٠ً حديقة الاذهان في حقيقة البيان (مثلهُ) = ٢١ً حدائق الافكار في رقائق الاشعار (مثلهما ص ٥٠) = ٢٢ً مقالة للشيخ الفاضل طاهر افندي ابن صالح الجزائري في الخطّ وهي توطئة لكتاب مطوَّل لم يتمّ بعد. ويليها مقالة في الشكل التركي (طبع حجر ص ١٦ و ٨) = ٢٣ً الدراريّ واللآل لمدح محمد والآل لصالح بن احمد (١٣٠٦–١٨٨٨ص ٩٢ طبع حجر)

وفيها طُبعت سالنامة ولاية سوريَّة بالتركيَّة مع خريطة

٣ (المطبعة العسكريّة) انشئت هذه المطبعة بعد مطبعة الولاية وهي مختصّة بامور العسكر لا تنشر سوى الروزنامات واللوائح العسكريّة

٤ (المطبعة الخيريّة) وهي المسمّاة باسم المعارف انشأتها جمعيّة انتشار العلوم في دمشق. أخذت أدواتها من طرف الحكومة بصفة الاعارة. وكان مركزها في احدى حُجر جامع الملك الظاهر وكان رئيسها السيّد علاء الدين عابدين احد اعضاء مجلّة الأحكام العدليّة المشهورة وكان انشاؤها نحو سنة ١٢٩٧ (١٨٨٠) وقد طُبع فيها بعض كتب مفيدة هذه لائحتها :

١ رسائل لعلاء الدين افندي عابدين = ٢ الهديّة العلائيّة لهُ (١٢٩٩-١٨٨١ ص ٢٤٨) = ٣ شفاء العليل في اسقاط ما في الذمّة من كثير وقليل لهُ (ص) = ٤ منية الاذكياء في قصص الانبياء ترجمهُ من التركيّة الشيخ طاهر افندي ابن صالح الجزائري (١٢٩٩-١٨٨١. ص ٢٢٩) = ٥ سجلّ مكتبة الملك الظاهر (ص ص ١٠١)

٥ (مطبعة نهج الصواب) انشأها جناب الفقيه المرحوم حبيب افندي خالد نحو سنة ١٢٩٧—١٨٨٠ وادارها مدّة ثلاث سنين طبع فيها بعض الكتب هذه اهمّها:

١ ديوان صفيّ الدين الحليّ (١٢٩٧-١٨٨٠. ص ٥٧٢) = ٢ كتاب الفوائد البهيّة في القواعد الفقهيّة تأليف السيد محمود افندي حمزه (١٢٩٨ - ١٨٨١. ص ٢٨٠) = ٣ نفحات الازهار على نسمات الاسحار لعبد الغني النابلسيّ (١٢٧٩-١٨٨٢ ص ٨ و ٥٠٤) = ٤ علم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسيّ (١٢٩٩-١٨٨٢ ص ٢٧١) = ٥ الطريقة الواضحة الى البينة الراجحة (ترجيح البيّنات) للسيد محمود بن حمزه (١٣٠٠-١٨٨٣ ص ٢٥١)

٦ (مطبعة روضة الشام) منشئها خالد افندي عطّار حسن سنة ١٣١١—١٨٩٣). طُبع فيها مايلي:

١ اتحاف الطلبة بالاسئلة الخطابيّة والاجوبة لمحمّد بن علي المرعشيّ (١٣١٢-١٨٩٤ ص ٧٢) = ٢ القول الفصل المؤيد المنصور في. . . المهور للشيخ راغب ابن الشيخ عبد الغني (١٣١٣—١٨٩٥ ص ٤٥) = ٣ المنتخب من امير المؤمنين وهي ترجمة كلام علي بن ابي طالب نظماً بالتركيّة لاحد علماء الروم = ٤ غاية المريد في الفقه والتوحيد = ٥ مختار الصحاح (تحت الطبع)

٧ (المطبعة العلميّة ومطبعة الفيحاء) فُتحت سنة ١٣١٦ (١٨٩٨) على ذمّة صاحبها الاديب محمد افندي هاشم الكتبيّ وطُبع فيها قصّة المعراج المنسوب لابن عبّاس. ثمّ بيعت لجناب مصطفى افندي شوراء ودعيت بالفيحاء واكثر مطبوعاتها الاوراق التجاريّة

٨ (المطبعة الحميديّة) ظهرت ايضاً سنة ١٣١٦ باسم سليمان لطفي. وفيها طُبعت مدّةً مجلّة الشمس

٧ الطباعة في طرابلس الشام

فنّ الطباعة حديث العهد في طرابلس. والمطبعة الوحيدة التي تُرى اليوم فيها كان انشاؤها منذ ثماني سنين في ٢٥ شعبان ١٣١٠ (شباط ١٨٩٣) بهمّة صاحب الفضل محمّد كامل البحيري ابتاع لها ادوات المطبعة العثمانيّة من صاحبها ابراهيم بك الاسود وفي جملتها آلة تصلح بان تدار على البخار. وفي التاريخ المذكور صدرت جريدة "طرابلس الشام" مرّة واحدة في الاسبوع. ثمّ استُحضرت لهذه المطبعة احرف مسبوكة بالشكل وغيرها من مسكب المطبعة الاديبيّة لخليل افندي سركيس. ثمّ جُهّزت بعد ذلك بحروف افرنجيّة ونقوش استُجلبت من باريس توًّا وزيد عليها مطبعة صغيرة وادوات للتجليد الافرنجي. وفي سنة ١٣١٥ نال صاحبها امتيازًا باصدار الجريدة بعبارة تركيّة لتنتشر في اللغتين معًا. وفي نهاية سنة ١٣١٥ شيّد لها بنايةً فاخرة على شارع التلّ في الجهة الشرقيّة الجنوبيّة من سراية الحكومة. وقد صدر في مطبعة البلاغة عدّة كتب ورسائل على حسابها خاصّةً وعلى حساب اربابها نذكر اسماء المهمّ منها حسب التاريخ:

١ً ديوان نفح الطيب (١٣١٠–١٨٩٣ ص ٢٦) = ٢ً رياض طرابلس وهو مجموع المقالات العلميّة التي تدرج في جريدة طرابلس (ثمانية اجزاء ١٣١١–١٣١٧ ١٨٩٤–١٩٠٠ مجموع صفحاتها نحو ١٤٣٠ صفحة) = ٣ً مجموع مقالات التنوير والاقتصاد (١٣١١–١٨٩٤ ص ٢٨) = ٤ً خمس رسائل مختلفة (ص ص ١٤٦) = ٥ً ديوان عقد اللآل من منظوم المرحوم السيد محمود افندي الشهال (١٣١٢–١٨٩٥ ص ٢١٠) = ٦ً رمز الحكم تركي وعربي للمرحوم سامي باشا شيخ الوزراء (ص ص ١٦٦) = ٧ً نهج البلاغة مع شرح الفاظه اللغويّة جزءان (١٣١٣–١٨٩٦ ص ٢١٣) = ٨ً الجيش العثماني في ترابلس (١٣١٥–١٨٩٨ ص ١١٣) = ٩ً رواية الوارث ترجمة عزّتلو جرجي افندي بيّ (الجزء الاول ص ص ١٦٣) = ١٠ً خمس رسائل مختلفة (ص ص ٢٨٩) = ١١ً اربع رسائل أُخر (١٣١٦–١٨٩٩ ص ٤٢٤) = ١٢ً سمير الليالي لامين افندي الجسري (ص ص ٢٦٣) = ١٣ً رسالتان ١٣١٧–١٩٠٠. ص ١٢٩) = ١٤ً تاريخ زنجبار (١٣١٨–١٩٠١ ص ١٣٨). ثمّ يُضاف الى ما تقدّم بعض مقالات اكثرها دينيّة كالدر الثمين في احكام التجويد (ص ١٤) واشارة الطاعة للشيخ حسين افندي الجسري (ص ص ١٤) ونظام المطابع (ص ١٦) وترجمة علم حال طبي ترجمة عزتلو مصطفى حكمت وانتشار الدين المحمدي لروحي افندي الخالدي ورسائل أُخر لا تزال تحت الطبع (ستأتي البقيّة)

# رسالتا الطير

## للرئيس ابن سينا وللشيخ الامام محمد الغزالي

## توطئة

من جملة الرسالات الفلسفية التي صنّفها ذلك الرئيس الامام والنّلامة المقدام الشيخ ابو علي الحسين المعروف بابن سينا رسالة موسومة باسم « الطير » ذكرها الجوزجاني تلميذه في قائمة مصنّفاته التي اثبتها ابن ابي أصيبعة في كتاب طبقات الاطباء (٥:٣) ودعاها بكتاب « الشبكة والطير » . . اما الحاج خليفة فدعاها في كشف الظنون (٤١٨:٣) « رسالة الطير » ليس الّا . وهذا الكتاب من الطف ما وضعهُ الشيخ الرئيس يبيّن فيهِ حالة الانسان قبل تجرّده من عالم الهيولى ثمّ حصولهُ على رؤية الحقيقة سبحانهُ وتعالى . وقد أبرز ذلك على صورة تخيليّة وهي رمز الطير يقع في شباك العدوّ ولا يزال يحاول النجاة منها الى أن يحظى بالخلاص بجدّه وثباته

وهذه الرسالة كان سبق المستشرق الشهير الدكتور مهرن (Mehren) فنشرها في جملة رسائل أخر لابن سينا وهي مطبوعة في مدينة ليدن سنة ١٨٩١ نقلًا عن اربع نُسخ وجدها في مكتبتي لندرة وليدن وقد اضاف الى اصلها العربي ترجمة افرنسيّة مع بعض شروح اخذها من تفسير فارسي لهذه الرسالة ألّفهُ عمر بن سهلان الساوجي وهو مصون في خزانة كتب لندرة (راجع الصفحة ٤٥٠ من قائمة كتبها العربيّة) . على انّنا قد احببنا إعادة نشر هذه الرسالة في مجلّتنا لاسباب منها ان هذه الرسالة من الرموز اللطيفة التي يأنس بذلها الشرقيون فضلًا عن انها لرجل عظيم لهُ في قلوبهم مقام جليل . ومنها انّنا عثرنا على نسخة مضبوطة تصلح بعض الاغلاط التي وقعت في الطبعة اللّيدنيّة او تضيف اليها روايات حسنة تزيد في فائدتها . ومنها ايضًا وهو اخصّ الاسباب التي حدت بنا الى نشر هذه الرسالة اننا عثرنا برسالة ثانية للشيخ الامام محمّد الشهير بالغزالي وسمها ايضًا باسم الطير وقد ذكرها الحاج خليفة في مجموعهِ الّا ان العلماء حتّى الان لم يقفوا لها على اثر وسننشرها في عدد آخر ان شاء الله وقد قدّمنا رسالة ابن سينا ليتمكّن القرّاء من المقابلة بينهما

امّا هاتان الرسالتان فقد وردتا في مجموع رسائل ذكرناهُ غير مرّة في المشرق وعنهُ اخذنا كتاب مكارم الاخلاق للثعالبيّ (المشرق ٣:٢٨) وكتاب السياسة للفارابي (٦:٦٤٨)

(٥١٦) بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدّمة

قال [ الشيخ ابن سينا ] اكرم الله مثواه : هل لاحد من اخواني في ان يَهب لي من

سمعه قدرَ ما أُلقي عليه (١ طرَفاً من اشجاني (٢ عساهُ ان يتحمّل عني بالشركة بعض أعبائها فانّ الصديق لن يهذّب عن الشوب اخاهُ ما لم يَصُنْ (٣ في ضرّائك وسرّائك صفاءهُ. وانّى لك بالصديق المماحض وقد جُعلتِ (٤ الخلّةُ تجارةً يفزع اليها اذا استدعت القلوبَ (٥ الى الخليل داعيةُ (٦ وطرٍ وتُرفض مراعاتها اذا حدث الاستغناء (٧ فان يُزار رفيق الّا اذا زارت عارضةٌ ولن يُذكر خليل الّا اذا ذُكرت مأربةٌ اللهمّ الّا اخوانٌ جمعتهم القرابة الالهيّة والّفت بينهم المجاورة العلويّة فلاحظوا (٨ الحقائق بعين البصيرة وجلوا دَرَن (٩ الشكّ عن السريرة فلن (١٠ يجمعهم الّا منادي الله

ويلكم اخوان الحقيقة باثُوا وتضامّوا (١١ وليكشفنّ كلُّ واحدٍ منكم لاخيه الحجُب عن خالصة لبّه ليطالع بعضكم بعضاً ويستكمل (١٢ بعضُكم ببعض. ويلكم اخوان الحقيقة تقنّعوا كما يتقنّع (١٣ القنافذ فأعلنوا (١٤ بواطنكم وأبطنوا ظواهركم فبالله انّ الجليّ لباطنكم وانّ الخفيّ لظاهركم

ويلكم اخوان الحقيقة انسلخوا عن جلودكم انسلاخ الحيّة ودبّوا دبيب الديدان (١٥ وكونوا عقارب اسلحتُها في اذنابها فانّ الشيطان لن يُراوغ الانسان الّا من ورائه. وتجرّعوا الذُعاف تعيشوا واستحبّوا الممات تحيوا. وطيروا ولا تتخذوا وكراً تتقلبون اليه فانّ مصيدة الطيور اوكارها. وان صدّكم عوز الجناح فتاصّصوا تظفروا فخير الطلائع ما قوي على الطيران. كونوا نعاماً تبتلع (١٦ الجنادل الحماة (١٧ وافاعي تسترط العظام الصابة وسمادل تغشّ الضرام على ثقة (١٨ وخفافيش لا تبرز نهاراً (١٩ فخير الطيور خفافيشها

---

* دللنا على نسخة ليدن بحرف (ل) وعلى الروايات الواردة في هامش نسختنا بحرف (ه) وعلى النسختين بالحرفين معاً (ل. ه)

١) ه: أُلقي اليه
٢) ل: اشجاني وهو تصحيف
٣) ه: يَصُفْ
٤) ل: جعلتَ
٥) ل ه: استدعتهُ
٦) ه: من داعية
٧) ه: اذا عرض للاستغناء قدرَ
٨) ل: ولاحظوا
٩) ل و ه: وجلوا وسخ ودرَن
١٠) ه: فلم
١١) ل: وتصابوا
١٢) ل: ولستكمل
١٣) ل: تقنّعوا . . . يتقنّع
١٤) ل: وأُطنوا
١٥) ه: دبيب النمل
١٦) ه: تلتقم. ل: تلتقط. شبّه الانسان الروحي في انتصاره على الشهوات بالنعام الذي يبتلع الحديد والحجارة
١٧) ل: الحمّيات والحميّة
١٨) كان القدماء يزعمون انّ السمندل (salamandre) يحيا في النار
١٩) كما انّ الخفافيش لا تطير في النهار كذا الانسان الروحي يحرب من عشرة البشر

ويلكم اخوانَ الحقيقة أغبى الناس (١ من يجترئ على غدهِ وافشلُهم من قصَّر عن أمدهِ . ويلكم اخوانَ الحقيقة لا غرو (٢ إن اجتنب ملاكٌ سوءًا او ارتكبت بهيمةٌ قبيحًا بل العجب من البشر اذا استعصى على الشهوات وقد صيغ (٣ على استنثارها صورتهُ او بذل لها الطاعة وقد فُوِّر بالعقل جبلَّتهُ . ولعمر الله (٤ بذَّ (٥ الملاكَ بشرٌ عند زيال الشهوة فلم تزلَّ قدمهُ (62ᵛ) عن موطنهِ فيهِ وقصَّر عن البهيمة انسيٌّ لم تنفر قراه بدوٌ شهوةٍ (٦ تستدعيه . وأرجعُ الى رأس الحديث فاقول:

قصَّة الطير

برزت طائفةٌ تقتنص فنصبوا الحبائل ورتبوا الشرَك وهيَّأوا الطُّعم (٧ وتواروا في الحشيش (٨ وانا في سربة طير اذ لحظونا فصفروا مستعدين لنا فاحسسنا بخصب واصحاب ما تخالج في صدورنا ريبة ولا زعزعتنا عن قصدنا تهمة . فابتدرنا اليهم مقبلين وسقطنا في خلال الحبائل اجمعين . فاذا الحلق تنضمُّ على اعناقنا والشرَك تتشبَّث باجنحتنا والحبائل تتعلَّق بارجلنا فنزعنا الى الحركة فما زادتنا الَّا تعسيرًا (٩ . فاستسلمنا للهلاك وشغل كلٌّ واحد منَّا ما خصَّهُ من الكرب عن الاهتمام لاخيهِ (١٠ واقبلنا نتبيَّن (١١ الحيَل في سبيل التخلُّص زمانًا حتى أُنسينا صورة امرنا واستأنسنا بالشرَك واطمأننَّا الى الاقناص

فاطَّلعتْ ذات يوم (١٢ من خلال الشرَك (١٣ فلحظتْ رفقةً من الطير أخرجت رؤوسها واجنحتها عن الشرَك وبرزت عن اقناصها تطير وفي ارجلها بقايا الحبائل لا هي تزودها فتعصيها (١٤ النجاة ولا تبينها فتصفو لها الحياة فذكَّرتني ما كنتُ أُنسيتهُ ونغَّصتْ عليَّ ما ألفتهُ فكدتُ انحلُّ تأسُّفًا او ينسلُّ روحي تلهُّفًا فناديتهم من وراء القفص أن: أدنوا (١٥ مني توقفوني على حيلة الراحة فقد أعيتني امور العويصة (١٦ . فتذاكروا (١٧

---

١) ل: اغنى الناس . وهو غلط ٢) ل ٨: لا عجب
٣) ل: وقد ضيَّع . وهو غلط ٤) ٨: وايم الله
٥) ل: بذَّ . وهو غلط . وبذَّ اي غلب ٦) ٨: شهوته التي
٧) ٨: الاطعمة ٨) ل: العشب ٩) ٨: تعسُّرًا
١٠) ٨: باخيهِ ١١) ٨: على تبيُّن ١٢) ٨: يومًا ١٣) ل: الشبك
١٤) ل: فتصبها . وهو تصحيف ١٥) ل ٨: اقربوا
١٦) ل: فقد اعتني (وهو تصحيف) طول القام ١٧) ل: تذكَّروا

خُدَع المقتنصين فما زادوا الّا نفاراً فناشدتهم بالحكمة القديمة والصحبة المصونة والعهد المحفوظ ما احلّ بقلوبهم الثقة ونفى عن صدورهم الريبة . فوافوني حاضرين فسألتهم عن حالهم فذكروا انهم أبتُلوا بما ابتُليتُ به فاستيأسوا واستأنسوا بالبلوى . ثمّ عالجوني فنحّيت الحبال عن رقبتي والشرّك(١ عن اجنحتي وفُتح باب القفص وقيل لي : استغنم النجاة(٢. فطالبتهم بتخليص رجلي عن الحلقة فقالوا : لو قدرنا عليه لابتدرنا اولًا وخلّصنا ارجلنا وأنى يشفيك العليل (٣ . فنهضت عن القفص اطير فقيل لي : انّ امامك بقاعاً لم تأمن المحذور الّا ان تأتي (٤ عليها قطعاً فاقتفِ آثارنا تنجُ بك ونهدِك الى سواء السبيل

فساوى بنا (٥٤٢) الطيران بين صدفي جبل الاله في وادٍ معشب خصيب بل مُجدب جريب(٥ حتى تخلّف عنّا جنابهُ وجزنا جيرتهُ (٦ ووافينا هامة الجبل . فاذا امامنا ثماني شواهق تنبو عن قُلالها اللواحظ وقال بعضنا لبعض : سارعوا فانّا لا (٧ نأمن الّا بعد ان نجوزها ناجين . فتعانقنا (٨ الشدّ حتى اتينا على ستّ (٩ من شواهقها(١٠ وانتهينا الى السابع . فلمّا تململنا تحوّمهُ قال بعضنا لبعض : هل لكم في الجمام فقد اوهنّا النصَب وبيننا وبين الاعداء مسافة قاصية . فرأينا ان نخصّ (١١ للجمام من ابداننا نصيباً فان الشرود على (١٢ الراحة اهدى الى النجاة من الانبتات

فوقفنا على تلّةٍ فاذا جنان مخضرّة الارجاء [ ممتدة الافياء .(١٣] عامرة الاقطار مثمرة الاشجار جارية الانهار كثيرة الازهار يروي بصرك نميرُها بصُوَر تكاد لبهائها تدهش العقول وتستبهت الالباب وتسمعك اغاني شجيّة والحانًا مطربة (١٤ وتُشمّك روائح لا يدانيها المسك الذّريّ ولا العنبر الطريّ . فأصبنا(١٥ من ثمارها وشربنا من انهارها وشممنا من ازهارها ومكثنا بها ريثما أطرحنا الاعباء . فقال بعضنا لبعض : سارعوا فلا

---

١) ه : والشبكة ٢) ه . اغتنم باب النجاة
٣) ه : أنى يسقيك الفليل (كذا) ٤) ل : نأمن . . . تأتي
٥) ل : خريب ٦) ل : جيرتهُ . وهو تصحيف
٧) ل : فلن ٨) ل : فعانقنا ٩) ل : ستّة
١٠) ه : شواهق ١١) ل ه : نخصّ ١٢) ه : الى
١٣) ورد هذا في الهامش ١٤) ل : مطربة لآذاننا ١٥) ل ه : فاكلنا

مخدعةً كالامن ولا منجاة كالاحتياط ولا حصن امنع من اساءة الظنون وقد امتدَّ بنا المقام بهذه البقعة على شفا غفلةٍ ووراءنا اعداؤنا يقتفون أقدامنا (١ ويتفقّدون مقامنا فهلمّوا نبرح ونهجر هذه البقعة وان طاب الثواء بها فلا طيب كالسلامة

فاجمعنا على الرحلة وانفصلنا عن الناحية وحللنا بالثامن منها فاذا شامخٌ خاض (٢ رأسهُ في عنان السماء تسكن جوانبهُ طيور لم ألتقِ اعذب الحانًا وأحسن ألوانًا واظرف صورًا واطيب عشرةً (٣ منها. ولمَّا حللنا في جوارها عرفنا من إحسانها وتلطُّفها وايناسها (٤ ايادي لم نقضِ (٥ بقضاء أهوَنها (٦. [ وان قصرنا عليه مدَّة عمرنا بل استددنا اليه اضعافًا (٧ ]

ولمَّا تقرَّر بيننا وبينها الانبساط اوقفناها على ما الم بنا فاظهرت المساهمة في الاهتمام وذكرت انَّ وراء هذا الجبل مدينةً يتبرَّأها الملك الاعظم وايُّ مظلوم استعداهُ (٨ وتوكَّل عليه كشف عنهُ الضرَّاء بقوَّته ومعونته. فاطمأننَّا الى اشارتها وتيمَّنا (٩ مدينة الملك حتى حللنا بفنائها (١٠ منتظرين لاذنه ورضائه. فخرج الامر باذن الواردين (٥٤) وادخلنا قصرهُ فاذا نحن بصحن لا نضن (١١ وصف رحبه. فلمَّا عيناهُ رُفع لنا الحجاب عن صحن فسيح مُشرقٍ استضفنا لديه الاول بل استصغرناهُ حتى وصلنا الى حجرة الملك

فلمَّا رُفع لنا الحجاب ولحظ الملكَ في جماله مُقلُنا عَلقت به افتدتنا ردهشنا دهشًا عاقنا عن الشكوى. فوقف على ما غشيَنا فردَّ علينا الثبات بلطفه (١٢ حتى اجترأنا على مكالمته وعبَّرنا بين يديه عن قصتنا فقال: لا يقدر (١٣ على حل الحبائل عن ارجلكم الَّا عاقدوها واني منفذ اليهم رسولًا يسومهم ارضاءكم واماطة السوء عنكم فانصرفوا مغبوطين

وهوذا (١٤ نحن الان في الطريق مع الرسول واخواني متشبّثون بي يطلبون مني

---

١) ل: آثارنا ٢) ه: خاص ٣) ل: معاشرة
٤) ل: مما تفضَّلتنا به ٥) ل: لن نقي. ه: لم نفي ٦) ه: ادوها
٧) جاء هذا في نسخة لبدن ٨) ه: استدى به ٩) ه: ويمَّنا
١٠) ه: بفنائه ١١) ل: يتضمَّن ١٢) ل: بلطفه
١٣) ل و ه: لن يقدر ١٤) ه: وها نحن ذا

حكاية بهاء الملك بين ايديهم وسأصفهُ وصفًا موجزًا فاقول: انهُ الملك الذي مهما حصَّلت في خاطرك جمالًا لا يعازجهُ قُبح وكمالاً لا يشوبهُ نقص صادفتهُ مستوفى لديه. وكل كمال بالحقيقة فهو حاصل لهُ وكل نقص ولو بالمجاز منفيٌّ عنهُ. كلُّهُ لحسنهِ وجهٌ ولجودهِ يدٌ. من خدمهُ فقد اغتنم السعادة القصوى ومن صرمهُ (١ فقد خسر الآخرة والدنيا (٢

وكم من اخ (٣ قرع سمعهُ قصَّتي فقال: اراك مسَّ عقلك مسٌّ (٤ او ألمَّ بك لممٌ (٥ وما والله ما طرتَ بسل طار عقلك وما اقتُنصت بل اقتُنص لُبُّك انّى يطير البشر او ينطق الطير كانَّ المرار قد غلب في (٦ مزاجك واليبوسة قد استولت على دماغك وسبيلك ان تشرب طبخ الافثيمون (٧ وتتعهد الاستحمام بالماء العذب الفاتر وتستنشق بدهن النيلوفر وتترفَّه في الاغذية (٨ وتهجر السهر وتقلّ الفكر فانًا عهدناك فيما خلا لبيبًا (٩ والله مطَّلع على ضمائرنا فانها من جهتك بهتة ولاختلال حالك منتتة (١٠ ما اكثر ما يقولون واقلَّ ما ينجع وشرُّ المقال ما ضاع وباله الاستهانة وعن الناس البراءة ومن اعتقد عني هذا فقد خسر وسيعلم الذين ظلموا ايَّ مُنقلَب ينقلبون

تمت الرسالة الملقَّبة رسالة الطير للشيخ الرئيس ابي علي بن سينا وفه الحمد بلا نهاية والصلاة على رسولهِ خير البريَّة (ويليها في عددٍ قادم رسالة الطير للغزالي)

---

# الزئبق معادنهُ وخواصُّهُ

نبذة للاب ر. ش. اليسوعي

افاد من البقاع مراسل جريدة البشير (في عددها الاخير الصادر في ٢٣ ايلول) انهُ شاع على ألسنة القوم «خبر وجود آثار معدن من الزئبق في عين صوفر». . . (قال) «وقد وجدوا ايضًا في موقع آخر من لبنان كميَّة كبيرة من الزئبق بينما كانوا يحفرون على

---

١) ٥: حاد عنهُ ٢) ٥: والاولى ٣) ٥: صديق
٤) ل: مُسَّ عقلك مسًّا ٥) ٥: ملمٌّ ٦) ل ٥: على
٧) الافثيمون (ἐχθυμον, cuscute) نبات شبيه بالصفر يشربهُ من أُصيب بالمرَّة السوداء
٨) وفاد في ل: وتستأثر منها الحمية وتتجنَّب الماء
٩) وجاء في ل: وشاهدناك فطنًا ذكيًّا ١٠) ل و ٥: بهتة

الطريق الحديدي وقد زرتُ الموضع ولكن لا بدَّ من مواصلة البحث والحفر بنوع جدّي قبل الحكم باكتشاف معدن زئبقي » ثمَّ اقترح الكاتب الاديب على كتبة المشرق ان يتحفوا القراء « بما يلزم من الافادات عن الزئبق ومعادنهِ وقيمتهِ في التجارة وعن طبيعة الارض التي يوجد فيها وهل سبق لهُ اكتشاف في لبنان قبل هذا الاوان ». فلم نرَ بدّاً من كتابة فصل موجز في هذا الموضوع فنقول:

تاريخ الزئبق الزئبق احد المعادن التي عرفها الاقدمون واسهبوا فيها الكلام. وكان اليونان يدعونهُ ὑδράργυρος والرومان hydrargyrum اي ماء الفضة. ولمَّا رأوا فيهِ من الخواص العجيبة ما لم يجدوهُ في غيرهِ من المعادن تأوَّلوا لبيان حقيقتهِ التأويلات الغريبة فكان اليونان يحسبونهُ ضرباً من الفضة كما يدلُّ عليهِ اسمهُ عندهم. وكذلك دعاهُ ارسطو ὑγρὸς ἄργυρος اي الفضة السائلة

اما السريان والعرب فقد جعلوا للزئبق مقاماً وفيماً في فنّ الكيميا القديمة وتفنَّنوا في الاقاويل عن طبيعتهِ فاغربوا ما شاؤوا. قال القزويني في عجائب المخلوقات (ص٢٤٣): « يتولَّد (الزئبق) من اجزاء مائيَّة اختلطت باجزاء ارضيَّة لطيفة كبريتية اختلاطاً شديداً بحيث لا يتميَّز احدهما عن الآخر ». ولاعتقادهم بخواصهِ العجيبة اتخذوهُ لتركيب الاكسير وتحويل المعادن الى الذهب على زعمهم. وكانوا يدعونهُ بالعبد الفرَّار يريدون انهُ يفرُّ من النار ويتطاير اذا جُعل عليها

حقيقتهُ وخواصهُ قد ثبت اليوم عند ارباب الطبيعيات والكيميا الصادقة ان الزئبق جسمٌ بسيط كبقيَّة المعادن وانَّما يمتاز عنها بكونهِ سيالاً وهو ناصع البياض لا طعم لهُ ولا رائحة وهو لا يجمد الَّا اذا بلغ الدرجة ٤٠ تحت الصفر من الميزان المئوي ويغلي في الدرجة ٣٥٠ ثقلهُ النوعي ١٣,٥٩٦ وكثافتهُ ٦,٣. اذا بقي زمناً طويلاً في الهواء تأكسد وظهر فوقهُ جُليدة من الصدأ ينحلُّ في جوهرهِ قسمٌ منها. اما اذا أُغلي فيتسارع اليهِ التأكسد ويصير مسحوقاً احمر واذا زيد في احمائهِ تحوَّل هذا الاكسيد الى اكسيجين وبخار الزئبق. وهذا الدخان مضرٌّ بالصحَّة كما اشار الى ذلك العرب. قال ابن سينا: « بخار الزئبق يُحدث الفالج والرعشة ودخانهُ يُذهب البصر... والمصعَّد منهُ قتَّال وتهرب من دخانهِ الهوامُّ والحيَّات »

والزئبق يمتزج باكثر المعادن لاسيما الشبيهة منها كالذهب والفضة على صفة « مُلَمَّغة »

(amalgame) ولذلك ينبغي ابعادهُ عنها لئلا يتلفها بيد انهُ لا فعل لهُ على الحديد والبلاتين والالومينيوم. اما اكثر الحوامض عملاً فيهِ فالحامض الكبريتي والحامض الازوتي. واذا وُضع في الماء لم يذُب الّا اذا أُغلي فيهِ زمناً طويلاً فيذوب منهُ قليل

معادنهُ يوجد الزئبق خاصّةً في طبقات الارض المعروفة بالثانويّة ولاسيما الصلصاليّة منها ولا تخلو منهُ بعض الطبقات الثالثيّة. اما هيئتهُ في حالتهِ الطبيعيّة فتختلف فمنهُ ما يكون مائعاً خالصاً من اختلاط المعادن. قال ابن بيطار: « يوجد الزئبق في سقوف معادن الفضة مذرورًا جامدًا كأنهُ قطر من الماء اذا تعلّق ومن الناس من يزعم انهُ قد يوجد الزئبق في معادن خاصّة ». ولكن وجودهُ خالصاً نادرٌ واكثر ما يوجد منهُ تراهُ مركّبًا مع الكبريت والكلور واليود. واشهر تركيباتهِ تركيبهُ مع الكبريت ومنهُ يُستخلص كما سترى. ومن الزئبق ما يكون مُلَغَّماً اي ممزوجاً بالفضة دون تركيب. ومعادنهُ كانت قديمًا في اذربيجان في كورة منها تدعى الشير كما روى الطبري. وذكر المسعودي معدنًا من الزئبق كان بالاندلس قال: « وليس هو بالجيد » وكان بليني المؤرخ اشار قبلهُ الى معادن الزئبق في اسبانية وقال ان الرومانيين كانوا يستخرجون منها ما يبلغ وزنهُ نحو ٣٥٠٠٠٠ كيلوغرام من الزنجفر ( اي كبريتور الزئبق )

اما معادن الزئبق الشهيرة في عهدنا فهي في اسبانية قرب مدينة على تخوم ولاية قرطبة تُدعى لذلك باسم « المعدن ». وموقع المدينة في وادٍ مخصب تتركّب تربتهُ من الصخور المعروفة بالسيلورية. ويُستخرج من هذه المعادن في كل سنة من ١٠٠٠ طن الى ١٢٠٠ يبلغ ثمنها نحو ٨٠٠٠٠٠٠ فرنك بسعر ثمانية فرنكات كل كيلو. وهذه المعادن قد ضمنها وروتشيلد منذ سنة ١٨٦٧ وهو يستثمرها بدفع مبلغ معلوم للحكومة الاسبانيّة

ومن معادن الزئبق الشهيرة معادن كاليفورنية في مدينة « المعدن الجديد ». يستخرج منها كميّات وافرة من هذا الجوهر الثمين. ومنها ايضاً معادن « ادريا » في ايلرية يعدّها المجرمون لكثرة اذى المعدن في الفعلة. ويوجد معادن اخرى من الزئبق في باڤارية والمجر والصين واليابان. اما وجودهُ في لبنان فلم يذكره احد حتى الآن. الّا ان ذلك ممكنٌ فان الزئبق ربّما وُجد في طبقات من التُرَب شبيهة بلبنان وليس الزئبق مخصوصاً بالطبقات

الثانويَّة فقط . فاذا صحَّ الخبر كان لاهل بلادنا في تعدين الزئبق وسيلة جديدة للمعاش حقَّق الله الامالي . ولكنَّنا نظنُّ انَّ لا صحَّة لما شاع

استخراج الزئبق قلنا انَّ الزئبق لا يُرى عادةً في حالتهِ الحاليَّة البسيطة وانَّما هو مخلوطاً ببعض الاجسام الغريبة . الَّا ان استخراجهُ لا يكون الَّا من مركَّباتهِ الكبريتيَّة وخصوصاً من سلفور او كبريتور الزئبق وهو المعروف عندنا بالزنجفر (cinabre) والعرب يدعون المصنوع منهُ باسمهِ اليوناني « قينابادي » امَّا المعدني او الخلوق فيسمونهُ زنجفراً مع اتفاق النوعين بالتركيب الكيموي . والزنجفر كثير في الطبيعة واكثرهُ في الطبقات الثانويَّة . وهو اذا كان صافياً بنفسجي اللون ناصعهُ واذا سُحق رأيتهُ احمر قانئاً (١ . والزنجفر يحتوي نحو ٨٠ في المئة من الزئبق والباقي كبريت »

اما استحضارهُ فبسيط جدًّا اهتدى اليهِ القدماء . قال ابن بيطار مستنداً الى ديسقوريدس : « يُصنع الزئبق من جوهر القينابادي على هذه الصفة تؤخذ طرجهارة ( نوع من الآنية ) من حديد وتُصيَّر في قدر نحاس ويُجعل في اتون ويُجعل في الطرجهارة قينابادي ويركَّب عليهِ انبيق ويطيَّن حول الانبيق ويوضع القدر على جمر فانَّ الدخان الذي يتصاعد على الانبيق اذا جُمع يكون زئبقاً »

وهذه الطريقة لاستحضار الزئبق قريبة من الطريقة الدارجة في ايَّامنا المعروفة بطريقة التقطير فانهم يجعلون مع الزنجفر مقداراً من الجير فاذا وُضع على النار اتحد كبريت الزنجفر مع الجير فاستحال الى كلس والى كبريتور الكلسيوم وتطاير الزئبق . وللمحدثين طريقة أخرى تدعى طريقة التحميص وذلك بان يحمَّص الزنجفر في أفران مخصوصة فيتحوَّل كبريت الزنجفر الى حامض كبريتي بمائة الهواء ويتطاير الزئبق مخاراً ثمَّ يُجمع في آنية خصوصيَّة ليتكاثف وينظَّف ممَّا يختلط بهِ من الغازات ثمَّ يوضع في آنية من الزجاج او الخزف

استعمال الزئبق استعمالات الزئبق اكثر من ان تُعدَّ نجتزئ بذكر البعض منها

---

١ ) اعلم ان الزنجفر يشبه كثيراً اوكسيد الرصاص او المينيوم (minium) وقد خدع القدماء من اليونان والعرب بهذا التشابه ولذلك تراهم يسمُّون الزنجفر سهواً « مينيون »

يُستعمل الزئبق في تجهيز ادوات عديدة يحتاج اليها علماء الطبيعة كمقياس ثقل الهواء (بارومتر) وميزان حرارته (ثرمومتر) كما مرَّ في المشرق (١ : ٨٩٢ و ٢ : ٣٥٩) وميزان تمدُّد الغازات (الماتومتر) وغير ذلك. ويستعملهُ الكيميويون لجمع الغازات التي تنحلُّ في الماء. ويتخذونهُ لتحليل المعادن التي لا تقوى الحوامض على تحليلها

امَّا الصناعة فانَّها الى الزئبق في حاجة ماسَّة تلتجئ اليه في احوال كثيرة. منها تنقية الذهب والفضة من اخلاطهما وذلك انَّ المعدنين بعد جمع سبائك هذين المعدنين يلقونها في الزئبق فيأتُم الذهب والفضة بالزئبق وتنفصل المواد الغريبة ثمَّ يفصل المعدنان عن الزئبق بواسطة التقطير

ومنها ايضاً استعمال الزئبق في تصفيح المرايا وذلك بان يُجعل على احد وجهي الزجاج صفيحة رقيقة من الزئبق المأتَّم بالتصدير فيصير الزجاج مرآة تعكس النور وصور المرئيات

ومنها ايضاً استعمالاتهُ الطبيَّة كان الاقدمون يستعملونهُ بالطلي في معالجة الجرَب والحكَّة والقروح ولقتل الهوام والحلَيَّات. وربَّما كانوا يداوون بمركَّبات الزئبق لاسيما الزنجفر يتخذونهُ لادوية العين ومعالجة القروحات ودمل الجراحات. والطب الحديث يلتجئ اليه ايضاً في بعض الاحوال خصوصاً في وجع الامعاء المؤلم (ileus) لكنَّ الاطبَّاء يعدلون عن استعماله في الغالب لما في ابخرته من القوَّة السامَّة

وقد حاول بعض الزراعيين استعمال الزئبق في الفلاحة لقتل الهوام التي تُفسد الزروع واتخذها بعضهم لحفظ دوالي الكرم من الفيلوكسيرا وقد اصابوا في ذلك شيئاً من النجاح الَّا انهم وجدوا انَّ الزئبق يسري الى عروق الجفنة ومنها الى الثمر فيمكن التسمُّم بهِ

وللزئبق مركَّبات عديدة كما اسلفنا ولكلٍّ منها بعض اعمال مفيدة في العلم او الصناعة كتركيب ألوان التصوير اخضُّها صنف من القرمز وكالسليماني وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ ويُخرجنا عن الحدود التي تحرَّيناها وفي ما سبق كفاية للجواب على ما اقترح علينا جناب الكاتب حفظهُ الله

# ملكوت السماوات ومعناها في انجيل متّى

للاب مرسال شوفاني اليسوعي مدرّس العائلة

قرأنا في الجزء الثاني من قاموس الكتاب المقدّس الذي نشرهُ حديثًا الدكتور جورج بوست ما كتبهُ في شرح لفظة « ملكوت السماوات » قال (ص٣٧٥):

ان عبارة ملكوت السماوات تفيد عدّة معانٍ: حياة التقوى في القلب (مت ٦: ٣٣) والنظام الذي اتى المسيح ليؤسّسهُ (مت ٦: ١٧ و١٣: ١١) وتدخُّل شعب اسرائيل حسب اختيار الله (مت ٢١: ٤٣) وعهد المسيح وتسلُّطه (مت ٦: ٣٨) وسلطان الله على الكل (مت ٦: ١) والحالة السموية (مت ٨: ١١) . . . . اما الكتبة المنظورة فليست الملكوت غير انها تشبههُ وهي تظهر مدرسة تعلّم اعضاءها كيفيّة هذا الملكوت والاستعداد لهُ واما الكتبة غير المنظورة فهي ملكوت السماوات »

فرأينا في هذا الشرح ما لا يوافق الواقع ولذلك احببنا ان نعمل النظر في هذه العبارة لنقف على معناها الاصليّ ومعانيها الثانويّة المشتقّة منها فنقول:

ان عبارة « ملكوت السماوات » وردت في الاسفار المقدّسة ٣٢ مرّةً وما يُقضى بهِ العجب انها وردت في انجيل القديس متّى وحدهُ فلا ترى لها اثرًا في غيره من المبشّرين. وانما جاءت على صورة أخرى في اسفار العهد الجديد فيقال « ملكوت الله » او « ملكوت الآب ». فينبغي اذن وفقًا لقوانين تفسير الكتاب ان نبحث عن معنى كلّ لفظة بمفردها ثم عن معناها الاضافيّ ونقابل بين هذه العبارة وبين النصوص الشبيهة بها الواردة في الاسفار المنزلة فضلًا عن مراعاة لغة الكتبة ولغة الجمهور

ونقدّم اولًا شرح لفظة « السماء » في قولهِ « ملكوت السماوات » لنتّبع بعد ذلك في تفسير كلمة « الملكوت » فنقول:

يراد بالسماء في عرف الشعوب اجمالًا وبلفظهِ العربي خصوصًا ما سما فوق رأسنا اي ارتفع من شبه قبّة زرقاء مرصّعة بالكواكب تمتدُّ الى الآفاق. ثمَّ تصوَّر الناس انَّ عرش الله ومقامهُ وراء هذه القبّة لحسنها وسموّها فقالوا انهُ تعالى يسكن السماء (مزامير ٢: ٤) وقال يعقوب اذ نظر في الحلم سُلَّمًا منتصبة على الارض ويستند رأسها الى قبّة السماء والرب واقف فوقها (تك ٢٨: ١٧): « ما اهول هذا الموضع ما هذا الّا بيت

الله هذا باب السماء » ومن ثمّ نسبوهُ عزّ وجل الى السماء فدعوه « إله السماء » او « إله السماوات » (تك ٢٤: ٧ و ٢ ت ش ٣٦: ٢٣)

ثمّ اقتصر الناس على اسم السماء او السماوات فدعوا به الرب الاله على طريقة المجاز المرسل كما هو جارٍ في اصطلاح كلّ الشعوب. ألا تراانا نقول مثلاً: « انتصرت فرنسة على العدوّ » ونحن نريد اهل فرنسة. ونقول: « حكم عليه المجلس » اي اصحابهُ فكذلك دُعي سبحانهُ وتعالى باسم السماء ونحن نريد « مَلِك السماء ». ومثال ذلك ما جاء في سفر دانيال (٤: ٢٣) حيث انذر النبيُّ نبوكدنصّر بالعقاب قال: « ان ملكك يُبقى لك بعد ان تعلم ان السلطان للسماوات » يريد ان السلطان لله فعبّر عنهُ بالسماوات. ومثل هذا ليس بنادر في الاسفار الالهيّة (راجع سفر المكابيين الاوّل ٣: ٥٠ و ٤: ١٠) وهو يوافق كلّ تفاسير المفسرين وينطبق على الاستعمال اللغويّ

وعليه ترى ان للفظة السماء معنيين معنًى حقيقيّ وهو ما تنظرهُ العيان كأنّ اليه نيطت الكواكب يتخيّلهُ البشر كسكنه تعالى. ومعنًى مجازيّ يُراد به اهل السماء وخصوصاً الرب تبارك اسمهُ

فهلمّ بنا الآن نُمعن النظر في معنى لفظة الملكوت. ولمّا كانت هذه اللفظة في العربيّة توافق وزنًا ومعنًى الكلمة العبرانيّة malkuth والسريانيّة malkutho دعنا نتبيّن ما كتبهُ العرب في معجماتهم عن هذه اللفظة. قال ابن الاثير في النهاية: « الملكوت اسم مبنيّ من المُلك كالرهبوت من الرهبة والجبروت من الجبر » وقال التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون (ص ١٣٣٩): « الملكوت صيغة المبالغة بمعنى المُلك والملك هو التصرّف الصحيح بالاستعلاء » وقال في القاموس: « ان الملكوت العزّ والسلطان ». قال في التاج: « يُقال ملكوت العراق وملكهُ اي عزّهُ » وقال في مفردات الراغب: « والملكوت مختصّة بملك الله عزّ وجلّ » وشرح اللحياني قولهُ « وبيده ملكوت كل شيء » اي سلطانهُ وعظمتهُ

فيتبيّن من هذه الآراء انّ الملكوت مرادفة للفظة المُلك وانّ لها كل معانيها. وان سأل سائل وما هي معاني لفظة المُلك قلنا انّ للملك ثلاثة معاني: الاول المملكة اي تخوم معلومة يملك عليها الملك وفي هذا المعنى يُضاف الى اسم علم شخصيّ والى اسم مكان او اسم شعب. فنقول مثلاً: مُلك يهوذا وملك ايطالية وملك الكلدان اي البلاد التي يحكم عليها يهوذا وملك ايطالية والكلدان

ويلحق بهذا المعنى الاول للملك معنًى آخر مجازي يراد به اهل المملكة والشعب الخاضع لحكم الملك كما قلنا سابقاً عن السماء انهُ يعني ايضاً صاحب السماء.

والمعنى الثاني للمُلك هو مشتقّ من هذا المعنى الاول ويدلّ على إمرة الملك وتدبيره لمملكته وسياسته لرعيّته وبهذا المعنى لا يضاف الّا لعلَم شخصي فتقول: مُلك داود ومُلك المسيح» تريد تملُّكهما ورعاية دولتهما. ولهذا المعنى الثاني ايضاً معنًى استعاري اذ تُضاف لفظة المُلك لبعض اسامي المعنى فيُقال مثلاً: «مُلك النعمة وملك الخطيئة» اي تسلُّطهما. وكذلك نقول «مُلك الحب» اي نفوذهُ وسيطرتهُ

اما المعنى الثالث للفظة المُلك فهي السلطة الملكيّة والعزّ والسلطان. وهذا المعنى كثير في العربيّة وغيرها. ويُستعار للدلالة على ابُهة المُلك وجاههِ

فهذه المعاني الثلاثة للمُلك مرتبطة ببعضها يشتقُّ احدها من الآخر اشتقاقاً طبيعيًّا

واذا اعتبرتَ لفظة «الملكوت» رأيت لها معاني «المُلك» الثلاثة الّا انها مختصة بالله عزَّ وجلَّ كما سبق عن الراغب الاصفهاني. وربَّما وردت في غيرهِ تعالى كما جاء في القاموس حيث قال «ملكوت العراق» اي ملكهُ. ويؤيد اطلاقها على ما سوى الله ان السريان والعبرانيين يستعملونها كذلك واللفظة العربيّة مأخوذة من العبرانية والدليل عليهِ ان وزن «فَعَلوت» ليس بعربي كما اقرَّ بذلك اهل اللغة

فلنَعُد الآن بعد هذه المقدمات الى تفسير عبارة «ملكوت السماوات» فنقول ان لفظة «الملكوت» بنسبتها الى «السماوات» انحصر معناها وتقيَّد فلم تَعُد تُطلق على المعنيين الاخيرَين بل على المعنى الاوّل فقط لاضافتها الى اسم مكان. وقد قلنا في تفسير معنى «السماوات» انها تدلّ على مكان وخصوصاً على مسكنهِ تعالى عزَّ وجل. فقولنا اذن «ملكوت السماوات» يراد بهِ المكان الذي فيهِ مُلك الله عزَّ وجلّ او المُلك الذي هو في السماء. وهذه العبارات مرادفة لقولنا «الملكوت السماوي» كما انَّ قولنا «مملكة فرنسة» و«المُلك الفرنساوي» عبارتان مترادفتان

واذا تصفَّحنا انجيل القديس متى حيث وردت هذه العبارة وجدنا انَّ كثيرًا من الآيات التي تتضمَّنها يراد بها هذا المعنى اي الملكوت السماوي او السماء حيث يملك الله عزَّ وجل بين اوليائهِ. قال البشير المذكور في الفصل السابع (ع ٢١) عن لسان الرب:

« ليس كلُّ من يقول لي: يارب يارب يدخل ملكوت السماوات لكن الذي يعمل ارادة ابي الذي في السماوات هو يدخل ملكوت السماوات »

فان تبيُّن هذه الآية يجد ان المراد هنا محلٌّ مخصوص لا يبلغهُ سوى الابرار الذين يتمّمون ارادة الله. ويظهر ذلك من لفظة « الدخول » التي استعملها ومن قرينة الكلام السابق حيث قال الرب: « ادخلوا من الباب الضيّق لانهُ واسع الباب ورحبٌ الطريق الذي يؤدي الى الهلاك . . . ما اضيق الباب وأحرج الطريق الذي يؤدي الى الحياة . . » فبيَّن جليًّا ان المراد بملكوت السماوات هو مكان الحياة الذي يملك فيه تعالى مع الصالحين

وكذلك جاء في متّى (٨ : ١١—١٢): « اقول لكم ان كثيرين يأتون من المشارق والمغارب ويتّكئون مع ابرهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السماوات امّا بنو الملكوت فيُلقَون في الظلمة البرانيّة هناك يكون البكاء وصريف الاسنان » فذكرهُ للظلمة البرّانيّة وللبكاء وصريف الاسنان لم يُبقِ شكًّا في انَّ المراد بملكوت السماوات مقام الله واوليائهِ في السماء اذ قابل بين حالة المختارين المنعَّمين في السماء وحالة الهالكين المعاقبين في الجحيم

وكذلك ايضًا في الفصل التاسع عشر (ع ٢٣) قال الرسول عن لسان الرب: « انهُ يعسر على الغني دخول ملكوت السماوات » وهنا يراد بملكوت السماوات بلا شك السماء ومقام الله مع تدبيره. يدلُّ على ذلك ما يتقدم هذه الآية وقد اخبر المبشّر ان شابًّا غنيًّا جاء الى يسوع وطلب منهُ « ماذا اعمل من الصلاح لأرث الحياة الابديّة » اعني انهُ سألهُ ما هي الطريقة لكي يحظى بالسماء. ولمّا اشار اليهِ المسيح ان يبيع كل مالهِ ويتبعهُ ليكون لهُ كنز في السماء ذهب الشاب كئيبًا فحينئذٍ قال الرب: « انهُ يعسر على الغني ان يدخل ملكوت السماوات »

فكل هذه النصوص وغيرها ايضًا تدلّ بنوع واضح على انَّ عبارة « ملكوت السماوات » في بشارة القديس متّى تدلُّ على السماء والملك الابدي الذي لا يدخلهُ الّا الذي يتمّمون ارادتهُ تعالى ويتجرّدون من حبّ الغنى ويمارسون العفة ويخصون انفسهم من اجل ملكوت السماوات (متى ١٩ : ١١) ويعملون غير ذلك من الاعمال الصالحة التي توهّل الانسان الدخول في الحياة الابديّة

*

وهذا المعنى الاول قد سلَّم بهِ الدكتور بوست في النص الذي ابتناهُ عنهُ. ولكن الذي انكرهُ جنابهُ انَّ عبارة ملكوت السماوات لا يراد بها الكنيسة المنظورة. وقولهُ هذا يوافق تعاليم اصحاب الاصلاح الموهوم الذين ينكرون ان المسيح اقام جماعة منظورة على الارض وسلَّم لبعض افرادها سياسة المؤمنين

فلكي نبطل هذا الزعم يقتضي علينا ان نبيّن ان عبارة « ملكوت السماوات » تدلُّ حقيقةً ايضاً على معنًى آخر صحيح اي على ملك المسيح المنظور وعلى الجماعة التي اقامها على الارض وسلَّم مقاليد سياستها الى هامة الرسل بطرس الصفا فنقول:

قلنا في شرح لفظة السماء ان من معانيها الثابتة في الكتاب الكريم " صاحب السماء " كما يُقال «بيت فلان » اي اهلهُ واصحابهُ على طريقة المجاز المرسل. فينتج من ذلك ان قولنا « ملكوت السماوات » يمكن تأويلها ايضاً بمعنى « ملكوت إله السماوات » او « ملكوت الله » وهذا ايضاً لا ينكرهُ علينا احد ويسهل اثباتهُ بالانجيل الطاهر فاننا اذا قابلنا بعض اقوال الرب التي اوردها القديس متى مع أقوالهِ كما ذكرها القديسان مرقس ولوقا وجدنا ان هذين المبشرين بدلًا من « ملكوت السماوات » يرويان « ملكوت الله » فان قول متَّى مثلاً ( ٣ : ٢ ): « توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات » جاء في مرقس (١ : ١٥): « قد اقترب ملكوت الله فتوبوا » وكذلك قول الرب في متى (٥ : ٣): « طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السماوات » ذكرهُ لوقا (٦ : ٢٠): « طوبى لكم ايها المساكين فان لكم ملكوت الله »

ولكن ان كانت عبارة « ملكوت السماوات " مرادفة لعبارة « ملكوت الله » لا بدَّ من القول ان لكلتيهما معنى مُلك الله المنظور وخصوصاً ملك المسيح بواسطة كنيستهِ. ولبيان ذلك يقتضي ان نذكِّر القراء ان الشعب اليهودي قبل مجيء ابن الله كان ينتظر بفروغ الصبر مُلكاً منظوراً وعدتَ بهِ الانبياء المسيحَ ابن داود مع شعبهِ المختار. قال دانيال (٢ : ٤٤) بعد ذكرهِ الممالك التي تقوم بعد المملكة البابليَّة: « وفي ايام هؤلاء ( اي الرومان ) يقيم إله السماء مملكةً لا تنقضي الى الابد ومُلكهُ لا يُترك لشعب آخر فتسحق وتفني جميع الممالك وهي تثبت الى الابد » وقال في فصل آخر (٧ : ١٣— ١٤): « ورأيتُ . . فاذا بمثل ابن البشر . . أُوتي سلطاناً ومجداً وملكاً فجميع الشعوب

والامم والألسنة يعبدونهُ وسلطانهُ سلطانٌ ابدي لا يزول وملكهُ لا ينقرض ». وكان قبل دانيال بشّر بذلك غيرهُ من الانبياء كاشعيا وحزقيال وارميا وهوشع وميخا وزخريًا ووصفوا مُلك المسيح وصفًا مدقّقًا لا يُبقي ريبًا في انهُ سوف يكون مُلكًا منظورًا يظهر في شعب يختاره الربُّ ويقدّسهُ ويختصهُ بنفسه

واذا فتحنا الانجيل وجدنا ذكر هذا المُلك في اوّل صفحاتهِ قال الملاك للعذراء (لوقا ١ : ٣١) : « تلدين ابنًا تسمينهُ يسوع . . وسيعطيهِ الرب الإله عرش داود ابيهِ ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء ». وهذا المُلك لم يسكت عنهُ المسيح عند كرازتهِ لليهود بل تراهُ اول ما يبشّرهم بهِ ويقول لهم : « توبوا فقد اقترب ملكوت الله » ريسمّي انجيلهُ « انجيل المُلك » (راجع متى ٤ : ٢٣ و ٩ : ٣٥ ومرقس ١ : ١٤) . فترى من ذلك موافقةً تامّة بين نصوص العهد القديم والعهد الجديد فكلاهما يذكر مُلكًا للمسيح منظورًا ليس فقط خفيًا في القلوب وان كان هذا المُلك روحيًا لا زمنيًا كما كان يتخيّلهُ اليهود . وما هذا المُلك الّا ما يدعوهُ القديس متى « ملكوت السماوات » ويدعوهُ سائر الانجيليين « ملكوت الله » اعني بهِ كنيسة المسيح التي انشأها ليجعل فيها ملكهُ الى الابد

ويظهر هذا من عدّة آيات ورد فيها ذكر « ملكوت السماوات » او « ملكوت الله » ممّا لا يمكن فهمهُ الّا عن هذه مملكة المسيح الارضيّة والروحيّة معًا اي الكنيسة المقدّسة . قال عزّ من قائل (متّى ٢٥ : ١ و ٢) : « يُشبه ملكوت السماوات عشر عذارى . . خمسٌ منهنّ جاهلات وخمسٌ حكيمات . الخ » . فترى من قرينة المعنى ان عبارة « ملكوت السماوات » لا تُطلق هنا على السماء مقرّ الطوباويين لان السماء لا يدخلها غير الابرار ونرى بخلاف ذلك في الآية المذكورة عذارى جاهلات يطردهنّ الرب من بيت العرس المكنّى بهِ عن مقام القديسين فليس الكلام اذن هنا عن السماء . . وان استقرينا بقيّة معاني هذه العبارة كما ذكرها الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدّس لا نجد لها معنى يوافقها هنا الّا ان نقول انّ المراد بها هنا كنيسة الله المنظورة . وهو رأي القديس توما شمس المدارس في تفسيرهِ لهذه الآية ورأي القديس غريغوريوس اللاهوتي كما سترى

وقال ايضًا الرب لذكره السجود (متى ١٣ : ٢٤) : « يشبه ملكوت السماوات رجلًا

زرع زرعاً جيداً في حقله . . . فجاء عدوه وزرع في وسط القمح زؤاناً ومضى الخ ) ثم قال في شرح هذا المثل ( ١٣ : ٣١ ) ان في وقت الحصاد اي يوم الدينونة سيرسل الحصادون اي الملائكة ليفرقوا بين القمح والزؤان « فيجمعون من مملكته كل الشكوك وفاعلي الاثم ويلقونهم في اتون النار ». فمن البديه ان عبارة ملكوت السماوات هنا لا تدل على دار الخلود وانما المراد بها كنيسة المسيح التي تحوي صالحين وطالحين فيُفرز بينهم يوم الدين . قال القديس غريغوريوس اللاهوتي في شرح مثل العذارى : « كيف استطاع الرب ان يشبه ملكوت السماوات بعذارى حكيمات وجاهلات ونحن نعلم ان السماء لا يدخلها احد من الأمة الخاطئين ؟ ولكن علينا ان نعلم انهُ يراد في الاسفار المقدسة مراراً عديدة باسم « ملكوت السماوات » الكنيسة الحاضرة وعنها قد قيل في آية أخرى : يُرسل ابن البشر ملائكتهُ ويجمعون من مملكته الشكوك . والشكوك كما لا يخفى لا يمكن وقوعهُ في دار النعيم » انتهى كلامهُ

وكذلك شبَّه السيد المسيح ( متى ١٣ : ٤٧ ) « ملكوت السماوات بشبكة أُلقيت في البحر فجمعت من كل جنس من جيد ورديء » . وهذه الشبكة ليست الَّا الكنيسة التي اتخذ لها المسيح رسلهُ كصيادين يصطادون البشر ومن هؤلاء اخيار وأشرار يميزهم الله يوم الدينونة وقد نصَّ على ذلك الآباء والمفسرون

وكذلك شبَّه ( متى ١٣ : ٣١ ) « ملكوت السماوات بحبة خردل » صارت شجرة كبيرة تستظل تحت اغصانها طيور السماء . أفلا يظهر لكل ذي عينين ان المراد هنا ليس السماء حيث السعادة دائمةٌ لا يطرأ عليها تغيير بل الكنيسة التي ظهرت في اول امرها صغيرة في اورشليم ثم امتدت الى اقاصي العالم فاستظل بها جميع الامم

وكذا قل عن امثال اخرى ورد فيها ذكر ملكوت السماوات ضربها الرب للدلالة على كنيسته المنظورة كمثل الملك الذي يجمع عبيده ليؤدوا لهُ الحساب ( متى ١٨ : ٢٣ ) ومثل رب البيت الذي خرج صباحاً ليستأجر عملة ( متى ٢٠ : ١ ) ومثل الملك الذي ارسل يدعو المدعوين لعرس ابنه ( متى ٢٢ : ٢ ) وفي كل هذه الامثال لا يُراد بملكوت السماوات سوى كنيسة المسيح التي يصفها الرب بصفات متنوعة فتارة يمثل رأسها وتارة اعضاءها ومرة تعليمها وطوراً الوسائط التي تتقدس بها النفوس كالنعمة والاسرار حتى انهُ لو جمعنا بين هذه الصفات كلها لوجدنا انهُ لا ينقص سمةٌ من سمات الكنيسة الواحدة الجامعة

المبنيَّة على صخرة الايمان الثابتة . وهذه هي الكنيسة التي قامت بدلًا من الشعب اليهودي المستلم كتز « ملكوت الله ». قال الرب لليهود (متى ٢١ : ٤٣) : « اقول لكم ان ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأُمة تصنع ثمرهُ » فبيَّن بنوع جليّ ان الكنيسة صارت ملكوت الله ورثت هذه الرتبة بعد ان وذل الرب شعبهُ ورثتهُ الاول لما وجد فيهِ من كثرة المآثم وعدم الاهليَّة

وخلاصة القول ان عبارة ملكوت السماوات تدل اصلًا في الجيل متى على السماء ودار الخلد حيث يملك الله مع اوليائهِ . ولكن لها معنًى آخر ثابتٌ صحيح وان كان مشتقًّا من المعنى الاصليّ اعني انها تدل على كنيسة المسيح والبرهان الاول على ذلك ترادُفها عبارة « ملكوت الله » الدالة في أحوال كثيرة على هذه الكنيسة . والبرهان الثاني نصوص وآيات عديدة لا يمكن اطلاقها على السماء بل على الكنيسة . والبرهان الثالث اتفاق الآباء على هذا الشرح والبرهان الاخير ان المسيح جعل الكنيسة في مقام الشعب اليهودي وسلَّم اليها بدلًا منهُ « ملكوت الله ». وفي هذا يُنقض قول صاحب قاموس الكتاب المقدس الذي نكر كون الكنيسة المنظورة هي ملكوت السماوات . والسلام

# حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ومضت ثلاثة أيام على المريضة ونُوَب الانحطاط والاضطراب تتعاقب عليها دون ان يحدث تغيير محسوس في حالتها السمومية لان أدوار الهذيان كانت دائمًا تتجدَّد عليها بلا اختلاف في اعراضها

وبينما كان زين ساهرًا في ذات ليلة على امرأتهِ اخذتها نوبةٌ شديدة وصوَّرت لها الحمى انها لم تزل تائهة تحت البرَد والمطر في تلك الطرق المستوعرة التي مرَّت بها ثم اعاد الوهم على ذهنها زيارتها للاب يوحنَّا ذاك الشيخ البارّ فاخذت تبسط لهُ ادلَّة حبِّها لزوجها بلهجة من الاخلاص كانت لها حركة عظيمة في قلب زين واخيرًا تمثَّلت لها مقابلتها الاخيرة

لحبيس بحيرة قدس فهتفت قائلةً: « اسمح لي ايها الاب القديس ان اقول لزين باني مشتعلة بمحبّته وان قلبي ما نبض قط الّا لاجله . . . أفتسمح لي بهذا يا ابي . . . اني أطيع هذه المرّة ايضاً فباركني وصلِّ خاصةً من اجلي . وزوّدني بدعائك . . . »

وبعد هذه الكلمات حاولت ان تنهض وهي لا تعي فأعانها زين على القيام ولكنها ما لبثت ان وقعت على فراشها خائرة القوة

وفي ذات مساء بعدما أصابتها احدى هذه النوبات المزلة اخذ زين يقول في نفسه: « ما اعظم محبّتها لي » وما كان غير قليل حتى تذكّر ذاك اليوم السعيد الذي تلا بركة قرانهما من يد الاب يوحنا وما اظهرته له راحيل من الحب المتوج بالاجلال والاكرام. وكان هذا التذكار حلواً مستعذباً لانهُ أعاد على خاطره صورة السعادة الهادئة الحقيقيّة ومثّل لهُ الاتحاد الباطني بين قلبين ما كان يتحرّك احدهما الّا للاخر

غير انهُ بعد ذلك تفكّر كيف انقلب فجأةً ذاك الاتحاد الوثيق الى حذر وكيف ان كل واحد من الاثنين صار بالنسبة الى الآخر كشخص غريب . ولو ان زيناً امعن النظر في الامر ودقّق قليلاً لعرف السبب واطلع على الحقيقة غير انهُ لم يكن يريد ذلك وكانت الأثرة تصدهُ عن مشاهدة ما هو لاحق بهِ من المسؤولية الكبرى فلهذا هتف قائلاً:

انّها لأرهام مريضة بل هذيان دماغ بليلتهُ الحمى . . . فلا يجدر بي ان احفل بها وانتبه اليها

وكأنهُ خشي ان تكون قرينتهُ سمعت كلامهُ فأضاف الى سابق كلامهِ بصوت خافت قولهُ:

وبعد هذا وهذا لا يبكّتني ضميري على سيئة معها . فمن اي شيء تستطيع الشكوى ؟ وماذا ينقصها ؟ أما ان قلة فطنتها سلّحتني عليها بسلاح مخيف فقد كنت استطيع بكلمة واحدة ان أسرحها وألحق بها عاراً لا يُمحى . واذا كنتُ لم افعل شيئاً من ذلك فما هو الّا عن كرم اخلاق وصفح متجاوز الحدّ . فبناء عليهِ لا ينبغي ان اظهر ضعفاً . او تسامحاً فان منزلتي وشرفي لا يسوّغان لي شيئاً من هذا على سبيل الاطلاق والّا كان بمثابة إقرار بخطاء تصرّفي

وكان الاقرار بالخطاء اعظم مانع يصدّ زيناً عن العود الى سابق حالهِ مع قرينتهِ

وكيف لا وقد كان رأسهُ المتشامخ يأبى مطاوعة حركات قلبهِ الشريفة وكبرياؤهُ تبعدهُ عن اتمام الفرض الذي يريه اياهُ ضميرهُ واجباً وضرورياً. على ان زيناً لم يكن بادل رجل خاض غمار هذه المعركة كما انهُ لسوء الحظ لا يكون آخر رجل سيخوض غبارها

وبعد ان مضت بضعة ايام قويت بنية راحيل على المرض وكان النقه فيها سريعاً. أجل ان مرضها لم يكن سوى خوف فجائي حادّ ولم يأتِ بعواقب وخيمة كما انهُ لم يغيّر شيئاً من حالة الزوجين ساكني قصر البترون ولكن حنة التي لم تكن تبالي بشيء اخذت من تلك الساعة تظهر اماتر البلبال واشتغال الفكر فكانت تتذكر الكلمات التي سمعتها من شقيقتها وقت اشتداد النوب عليها وتهتمّ بمعرفة معناها والمقصود منها الّا ان الوقت لم يكن قد حان ولسوف لا يطول الزمان حتى تظهر لها الحقيقة. وبالنظر الى ما هو معروف من انقيادها سنرى بلا شك انها لن تتردّد مطلقاً عن الطاعة لصوت الواجب

واماً زين فاستمرّ على عادتهِ لا يظهر عليهِ ادنى اثر من الهواجس التي بكّتهُ عليها ضميرهُ. واذا كان قد تمكّن من خنق تلك الهواجس واخفاء آثارها في الظاهر فانهُ في الباطن كان منزعجاً من نفسهِ لانما تصرّفهُ. واذا كان قد بقي يجتنب قرينتهُ كما في الماضي فما ذاك الّا لأن مرآها كان يعيد عليهِ ذكر مساويه واماً امرأتهُ فانها عملاً بوعودها للاب يوحنا استمرّت صابرةً على جراحها بسكوت تامّ

١١

ودامت راحيل على هذا المسلك وكانت كل يوم تزيد فيهِ ايغالاً حتى مضت عليها عدّة اشهر دون ان تعلو جوادها الابيض التي كانت مولعةً بركوبهِ. غير انها بعد ذلك قد غصبت نفسها على تغيير هذه الخطة فعادت في الظاهر الى سابق حالها واخذت تركب ذاك الجواد وتقودهُ بمثل النشاط الذي كانت تبديهِ في ما سلف. وكانت كلما خرج زين لصيد الخنزير البري في وادي نهر الجوز او لصيد الحجال والسلوى التي تكثر في غابات عبرين وكور وكفرحي وفي الاكمات الرمليّة ما بين حنوش ووجه الحجر او ذهب لزيارة قلعة الحصن وقلعة سمار جبيل تخرج معهُ وهي تحمل الباز في يدها وتلبس برقعاً طويلاً ابيض لا يزال يخفق على هوى الرياح التي تتلاعب بهِ وتركب جوادها المطهم الذي كان يسير تحتها وهو يزبد ويشبّ كأنهُ يفتخر بجمالهِ اللطيف. وعلى هذه الصورة

عادت الى سابق نشاطها وبشاشتها وكانت تفعل ذلك بلباقة وهيأة طبيعيَّة خالصة تجوز على احذق الناس واوفرهم دراية

وكانت في ما مضى قد خامت حلاها وزينتها واخذت تقف كالخادمة الى جانب شقيقتها حتة المتبرّجة بافخر الملابس وانفس الجواهر . امَّا الان فقد عادت فتزيَّنت بالذهب والماس مفرغةً عليها اجمل الحلل وابهاها واخذت تظهر البشاشة والسرور وتخوض احاديث الفكاهة والنكات المفرحة ولم تكن تريد اصلًا ان تظهر عليها اقلّ علامة خارجيَّة تبوح بما يكنُّ قلبها من اللوعة والحرقة بسبب ما تلاقي من صدّ المقدَّم بعلها وإعراضه . ولكن جميع مساعيها ذهبت ادراج الرياح لان زينًا لم يشعر بحنانها المحجوز اكثر من شعوره قبلًا بمحبَّتها الفائضة

نعم انهُ كان يتعجَّب من التغيُّر الذي يشاهدهُ في قرينته غير انهُ لم يكن يعلّق عليهِ اهميَّة ولهذا كان يجتنب الكلام عليهِ . ورأت راحيل ان أحوالها تزيد ارتباكًا وصعوبةً وان كل ما تظاهرت بهِ لم يجدِ نفعًا ولم يأتِها بالفائدة المطلوبة لان زينًا استمرَّ بالرغم عن ذلك كلّهِ لاهيًا عنها بميلهِ الى شقيقتها

وفي هذه الاثناء توفي مقدَّم العاقورة (١ فكتب الامير رزق الله الى المقدَّم زين ان يتوجَّه مع قسم من الجيش لحراسة المنيطرة والطرق التي تؤدي من بعلبك الى لبنان اعني طريق عيناتا الى الارز من ظهر القضيب والمضايق المبلِّغة من بركة اليمونة الى افقا فالعاقورة

امَّا راحيل فعزمت على ان تغتنم غيابهُ لتزور مرَّة اخيرة حبس البُحيرة ومع ما في سفرها اليهِ من المخاطر والصعوبات كانت تشعر بقوة غير مغلوبة تدفعها اليهِ قسرًا وتعتقد اعتقادًا ثابتًا مكينًا ان لا خلاص لها من المحنة الَّا على يدهِ

وقد قابلها هذا الرجل البار بحنوّ لا يوصف . وكانت الشيخوخة التي احنت ظهره والعذاب الطويل الذي قاساهُ والاوصاف العديدة التي تزيَّن بها تجعلهُ كرجل ممتاز عن سائر الناس وتخوّل كلامهُ سلطة فائقةً تصعب مخالفتها فقالت لهُ راحيل : « ابي قد مشيت على ارشاداتك بكل تدقيق وكتمت محبتي كل الكتم لا على شقيقتي فقط بل على زوجي ايضًا . غير اني عاينت من هذا كلهِ عذابًا دونهُ عذاب الشهداء فخنقت زفيري في باطني

(١ المشرق ٤ واخبار الاعيان

وكانت اذا همّت دموعي بان تفيض على خدّي كفكفتُها بيدي فكنت اشعر بالموت والفناء في داخلي واتبرّج واتحلّى في ظاهري فاعلةً كما كنت افعل في الايام الاولى لزواجي. تخلّتْ مخاتل الفرح والبشاشة مع ان قلبي لم يعرفهما منذ اشهر. ولو ان ادنى بارقة امل اومضتْ لي في ليل احزاني لتجلّدتُ وتصبرت على المحنة بقبول ورضى. ولكن لم يكن شيء من ذلك كلّه لان زيناً ما زال اليوم قليل الاكتراث بي كما كان من قبل. ولا اقول انهُ منع عني دلائل الاعتبار وشواهد الاحترام التي كثيرًا ما يخلطها البعض بالمحبة. كلاَّ فانهُ من هذا الوجه رجل مكمّل بل اقول ان قلبهُ لم يرتدَّ اليَّ وقلبهُ هو غاية ما أريد منهُ ولي الحقّ كلّ الحقّ فيه. كلاَّ ثمَّ كلاَّ انك لا تعلم يا ابي ولا تستطيع ان تعلم كم قاسيت من العذاب في طاعة اوامرك. فما هي الفائدة اذًا من إطالة مدة هذه الحال التي لا تُطاق؟ وحتى متى توجب عليَّ صبرًا على كفّارة قاسية لا تولي نفعاً؟

فاجابها الاب يوحنّا قائلًا:

انكِ حتى الآن لم تكتمي حبك الكتم الواجب. ولعلَّ ظواهر الأثرة القبيحة بقيت باديةً فيكِ. فينبغي ان تخفي محبّتك لا فقط على شقيقتك وحدها ولا فقط على قرينك بل ايضاً على نفسك. وهذا آخر واصعب محنة عليكِ. نعم انك قد اجتنبتِ كل عمل وكل كلمةٍ بل ايضاً كل اشارة تظهر محبتك لكنكِ دامت بلا انقطاع على تفحُّص واستقصاء المحبة الباطنة. نعم انكِ لم تعلني شيئاً من شكواكِ ومرارتكِ ولم تصرّحي بتذمركِ غير ان زيناً يشعر بذلك كلّه وهذا الذي يبعده عنكِ. ومن المستحيل ان لا تكون عيناك وهيئة وجهكِ قد باحت لهُ بهواجس قلبكِ وقلاقله. فمتى عرفتِ كيف تقمعين كل حركاتكِ وتخمدين كل ما يثور في داخلكِ ومتى رضيتِ بان تكوني قرينةً مهملةً منسيّةً ومتى حملتِ صليبكِ بفرح او على الاقلّ بصبر وتجلّد. وبعبارة وجيزة متى استقرَّ فيكِ السلام الباطني ففي هذا الوقت وحدهُ لا في سواهُ تدوكين الانتصار لانهُ لا شيء غير السلام الباطن يولّد المحبّة الخالصة. ولا ريب ان ظواهر هذا السلام بعينهِ هي التي تجتذب المقدَّم رغماً عن علو اخلاقهِ الى شقيقتكِ الموصوفة بالدماثة والحياء. واخفى الحب هو اشدّ اشتعالًا من سائر انواعهِ ومع عدم ظهوره تكون لهُ سلطة عظيمة جدًّا حتى ان الرجل القديس يوشك ان يعجز عن مخالفتها...

ثم ان الاب يوحنّا انقطع هنيهةً عن الكلام واتى بكتاب مخطوط وقدّمهُ الى

راحيل من نافذة كوخه قائلًا لها ان هذا الكتاب يرشدكِ بالتطويل الى ما لا استطيع ارشادكِ اليهِ فخذيهِ فهو اجل كتاب صنعتهُ يدُ بشر لان الانجيل لم يأتِ من البشر

وقد طلبتِ مني قبلًا ان ادلّكِ على علاج يشفي اوجاعكِ او في الاقلّ على سر الصبر عليها. فاعلمي ان السرّ كلهُ موجود في هذه الاوراق فمنها كنتُ استمدُّ عزاء وقوة حتى الآن ولا ريب عندي انها توليكِ مثل ما اولتني

امّا راحيل فتناولت هدية الحبيس وهي لا تبالي وكان عنوانها هاتين الكلمتين « الاقتداء بالمسيح » فلمّا قرأتهما توهمت ان الاب يوحنّا يستهزئ بها فقالت في نفسها: « اذا كان الكلام الحيّ لم يأسُ كلوم نفسي فمن اين لحروف ميتة في هذا الكتاب ان تدفع عني نكبتي ». ومن ثم تأكّد لها ان الرجل القديس يشير بذلك الى إعضال دائها واستحالة شفائهِ وانهُ لم يبقَ عندهُ من دواء لعلاجها. ولمّا كانت المعارك الباطنة قد هدّت قواها مدة سنة بكاملها رأت ان افضل الاشياء ان تتمسك باذيال الجلد والصبر وتحني عنقها هذه المرّة ايضًا لنصائح الشيخ القديس

ومع ذلك كان عتوها كامنًا في صدرها كالنار تحت الرماد. وقد لاحظ الاب يوحنّا ما في باطنها فقال لها قبل ان صرفها من عندهِ:

اكِدي لي يا راحيل انك من الآن فصاعدًا تنبذين العناد نبذًا وكلّما عرضت لكِ مرارة فاجئي قدام الله وقولي لهُ: « ربي وسيدي انك لم تكذب في قولك « طوبى للباكين » فانزل عليَّ شيئًا من الطوبى التي يتضمّنها هذا الوعد الالهي » (ستأتي البقيّة)

# تسريح الابصار

## في ما يحتوي لبنان من الآثار

### للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

#### ٢٧ بلاد بشرّاي

بلغ بنا تتبُّعنا لآثار لبنان الى مشارف هذا الجبل وها نحن ذا في معاملتي اهدن وبشرّاي. على ان هذه الجهات دون السواحل الفينيقيّة من حيث مآثرها القديمة. وانما هي

معتبرة لسبب آخر « لكونها اصبحت مهدًا للطائفة المارونيّة » (قال ذلك رينان) فنمت في ارجائها واتّسعت منذ نحو ١٢٠٠ سنة

امّا اذا ضربتَ صفحًا عن نشأة الموارنة في تلك الاصقاع فلا تكاد تعثر على امر ذي بال يستدعي التفات العلماء اليها. وكانت بلاد بشرّاي في سالف الزمان قليلة الاهلين تمتدُّ في معاطف جبالها غابات الارز الباسقة. ولعلَّهُ ظهرت فيها بعض القرى ومن جملتها بشرّاي. لكن الامر محمول على الحَدْس فقط. ولا احد من العلماء حتى الان وجد فيها اثرًا يرتقي الى عهد اليونان او الرومان

امّا اسمها بشرّاي ويكتبهُ البعض بشرّة وبشرّي فقد اختُلف في معناه. قيل (١ انَّ اصلهُ بيت الشرى يراد بهِ بيت عشتروت. فان صحَّ هـذا الاشتقاق دلَّ اسمها على قرية عريقة في القدم عبد فيها اللبنانيون إلهة السماء الفينيقيَّة كاهل جبيل

والمرجَّح انَّ مؤرخي الصليبيين ارادوا هذه البلدة في تآليفهم لمَّا ذكروا قريةً يدعونها Buissera و Bussera وهي من القرى التي كانت لاحقـة باملاك صاحب طرابلس واليها تُنسب احدى الأُسر الفرنجيَّة الشريفة كما روى « راي » في كتاب مستمرات الفرنج (٢. امّا تاريخ الأمّة المارونيَّة فانَّهُ يجعل في بشرّاي وجوارها الحوادث التي جرت في اوَّل ظهور الطائفة غير انَّ هذا التاريخ لم يدوَّن منذ عهد قديم كما لا يخفى

ومِمَّا ذكرهُ صاحب اخبار الاعيان (ص٢٠) انَّ مولد القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم في القرن السابع كان في بشرَّة وقد كان سألنـا احد السائلين في المشرق (٤: ٢٠٠) هل صحيح انَّ هذا القديس وُلد في « بسري » كما يزعم اهل التقليد. ولا نعلم اي التقليدي هو الصواب أبشرَّة كما قال الشيخ طنوس الشدياق او بسري كما زعم السائل. وعلى كل حال فقد بيَّنا هنالك انَّ القديس صفرونيوس وُلد في دمشق لا في لبنان واستندنا في قولنا الى شواهد لا تُنقض

ولنا في تاريخ اهدن ما يزيد ثقتنا بقدم عهدها. على اننا لا نسلِّم بالتقليد الذي يجعل الفردوس الارضي في اهدن (٣ . ومن روى ذلك يزعم انَّ اهدن هي جنَّة

١) راجع كتاب فلسطين لابرس وغوتي Ebers und Guthe: *Palæstina* II. 448

٢) راجع Rey: *Colonies franques* q. 363 وراجع ايضًا PDP, V, X, 211, 204

٣) ذكر هذا التقليد العلَّامة الدويهي في تاريخ الطائفة المارونية (ص ١١٦)

عدن وان اسمها مشابه للعبرانيّة ٦٣٣. وهذا قول لا سند لهُ وكذلك قد وهم الذين ظنّوا انّ اهدن هي المدينة التي ذكرها بعض القدماء ودعاها Τριπαράδεισος او Παράδεισος لانّ موقع هذه المدينة في جنوبي حمص على مسافة ست ساعات من حمص ونصف الساعة من ربلة وكانت على العاصي في مكان قرية جوسيّة الجديدة كما اثبت الامر السائح العلامة موسيو دوسو ( راجع المشرق ٣: ٣٤, ٣٥)

وقولنا هذا لا يبخس شيئاً من حقوق اهدن ونحن اوّل من يقرّ بحسن موقع القرية وطيب هوائها وجمال مناظرها الفتّانة امّا الادلّة على قدمها فكتابات ثلاث وُجدت فيها ثنتان منها باليونانيّة والثالثة بالسريانيّة. فالكتابة اليونانيّة الاولى قد طمسها الدهر ولم يُبقِ منها الّا سطرين في آخرها وهناك تاريخ تسطيرها وهي السنة ٥٨٤ للاسكندر توافق السنة ٢٧٢ م. والكتابة اليونانيّة الثانية مرقومة على قبر مجاور لكنيسة القديس ماما. وهي مطموسة لا يسمح سوء حالها من تفسيرها وليس لها تاريخ ظاهر وفي رأسها صليب صغير يعلوها ولكن هذا لا يكفي لان ننسب الكتابة للنصارى لانهُ امكن المسيحيين ان يحفروا هذا الصليب بعد ذلك بقرون عديدة. وقد اخذنا رسم هاتين الكتابتين عن الحجر ولكن لم يمكنّا ان نصلح في شيء ما اثبتهُ وينان في كتاب بعثة فينيقية. وهو ايضاً ذكر الكتابة الثالثة المكتوبة بالسريانيّة بالحرف الاسطرنجلي وهذا تعريب ما بقي منها: « بسم الله الذي يُحيي الموتى في سنة ١ — للاسكندر . . . وقد ومات مرقس . . . »

وفي اهدن كنائس عتيقة ذكرنا في مقالة سابقة ما لها من الخواصّ الهندسيّة فلتُراجع

وترى على مقربة من اهدن عدّة قرًى كالحدث وحصرون وغيرهما من الضياع التي لا نجد فيها شيئاً من الآثار الناطقة عن قدمها. الّا انها مذكورة في اخبار الطائفة المارونيّة كما نقلها الينا التقليد فيكون ابناء مارون اول من حوّل هذه الاماكن ذكرًا تاريخيًا ولعلهم الذين انشأوها فسكنوها والله اعلم ( ستأتي البقيّة )

# مطبوعات شرقية جديدة

Bericht über eine im J. 1899 ausgeführte Forschungsreise
IN DER ASIATISCHEN TURKEI
*Von Dr Frhr. von Oppenheim kaiserlichen Legastionsrat*
*Berlin* 1901, *SS*, 30

رحلة الدكتور البارون اوبنهم الى تركية آسيا

ان صاحب هذه الرحلة معروف لدى قرّاء المشرق ولا نزاهم نسوا ما ذكرنا عن سفرته الى الشام والجزيرة في سنة ١٨٩٤ ( راجع المشرق ٢ : ٨٦٢ و ٤ : ٧١٦ ) . على انّ الرحّالة الوجيه قد باشر هذه السفرة الجديدة ليستوضح عن امور شتى لم يمكنهُ تحقيقها سابقًا . امّا طريقهُ فكانت غير طريقهِ الاولى فانهُ ولج وادي العاصي وزار الجبل الاعلى (شرقيّ حماة) ثم سار الى حلب وقطع الفرات عند المسعوديّة حتى بلغ حرّان واورفا (الرها) ثمّ طاف براريّ الجزيرة وبحث عن احوال اهلها وتفقّد شؤون جهاتها . ولمّا ادرك وطرهُ انثنى عائدًا الى الاستانة مارًّا بماردين وديار بكر وعينتاب وادنه وقونية . واخبار هذه الرحلة لا تتجاوز ثلاثين صفحة وهي مزيّنة بعدة تصاوير في غاية الاتقان والدقّة . وجناب البارون يزعم انهُ اطلع على عدّة امكنة مجهولة ووجد مجرّيين من سواعد نهر الفرات ونقل ٥٠٠ كتابة جديدة منها بالحرف الاشوري ومنها بالسريانيّة واليونانيّة والعربيّة واخذ بالتصوير الشمسيّ ٢٠٠٠ رسم لامكنة عديدة . وقد اسهب المؤلف عن سكّة حديد بغداد وهو يرتأي انهُ يُرجى من تجهيزها منافع لا تُحصى وارباح طائلة ل . م

ابدع الاساليب

## في انشاء الرسائل والمكاتيب

اثر السيد عبد الباسط افندي الانسيّ

طُبع في مطبعة جريدة بيروت سنة ١٣١٨ (ص ٥٥٥)

قد كثرت منذ بضع سنين التآليف في انشاء الرسائل فلا تكاد ترى مطبعة الّا نشرت منها كتابًا او ازيد . وفي رأينا ان هذا المصنّف الجديد اوسع من المؤلفات السابقة مادّةً واكثر تفنّنًا . وقد قسمهُ صاحبهُ مكرمتلو عبد الباسط افندي الانسيّ

الى خمسة ابواب يتضمَّن كل باب منها خمسة فصول وفي كل فصل نحو ثلاثين رسالة مع طرفة من الابيات الشعريَّة الموافقة لكلّ موضوع. وللكتاب مقدِّمة طويلة اودعها الكاتب الاديب ما يحتاج اليهِ المنشئ من المعرفة بخصوص فضل الكتاب وآداب الرسائل. امَّا انشاء هذا التأليف النفيس فهو أليق بالبلغاء المتخرّجين بفنون الكتابة منهُ بالعامَّة. واكثرهُ مسجَّع ذو تأنُّق في اللفظ لا يخلو من بعض التصنُّع. جازى الله خيرًا مؤلفهُ ونفع بهِ الادباء.

## كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول

تأليف الامير امين ارسلان قنصل جنرال الدولة العليَّة في بروكسل

طُبع في مطبعة الهلال في مصر سنة ١٩٠٠ (ص ١٣٢)

المعاهدات الدوليَّة هي خلاصة التمدن الحديث ممَّا اتفقت عليهِ الشعوب الاوربيَّة خصوصًا لمراعاة حقوق كل أمَّة بمفردها وبالنسبة الى الامم سواها. فمعرفتها فرضٌ لازب على اصحاب الامر واهل السياسة. وللاجانب في ذا الموضوع عدَّة تآليف توقفهم على هذه الواجبات والحقوق يرجعون اليها عند الحاجة وكانت لغتنا العربيَّة مفتقرة الى مثل هذا الكتاب فاحبَّ الفاضل الهمام الامير امين افندي ارسلان ان يسدَّ هذه الثلمة بوضع كتاب يشمل حقوق الملل ومعاهدات الدول. وقد سبق الى نشر القسم الرابع منهُ الذي مداره على الحرب حداهُ الى تقديمهِ على الاقسام الثلاثة الاولى حدوث الحرب الترنسفاليَّة في جنوبي افريقية. وقد تصفَّحنا هذا القسم فوجدناهُ فريدًا في بابهِ حسن التقسيم واضح التعبير منسجم العبارة. وهو يبحث عن الحرب وشرعيَّتها وشروطها اجمالًا ثمَّ عن الحربين البرّية والبحريَّة خصوصًا لم يترك مبحثًا ممَّا تفيد معرفتهُ من هذا القبيل الَّا وتحرَّاهُ واستوفى عنهُ الكلام. فنشكر للمؤلف البارع هذه الطرفة ونتمنى ان يتحفنا قريبًا ببقيَّة أجزاء هذا الكتاب

## كتاب قسطاس الاحكام

تأليف الخوري نعمة الله ابي كرم الماروني اللبناني

الجلد الثاني. طُبع في مطبعة الارز (جونية) سنة ١٩٠١ (ص ٥٦١)

لا يكفي لآل الاكليروس ان يحكموا على اللاهوت النظري واللاهوت الادبي

بل ينبغي لهم ان يتفرَّغوا لعلم آخر لا غنى لهم عنهُ لاسيما في عهدنا الحاضر نعني بذلك درس الحق القانوني الذي يوقفهم على نواميس البيعة والاحكام الجارية فيها لسياسة رُعاة الكنيسة واعضائها وكان حضرة الخوري الفاضل والقانوني البارع حضرة الاب نعمة الله ابي كرم سبق منذ عشر سنين ونشر في المطبعة العموميَّة الكاثوليكيَّة القواعد الكليَّة التي فيها ينحصر هذا العلم وذلك نقلًا عن ائمَّة هـذا الفن وخصوصاً العلامة جنسن وامام القانونيين رَيفنستول. وقد رأى اليوم ان يُلحق هذا القسم العموميّ بقسم آخر خصوصي جمعهُ ايضاً من كتب الائمة المعتبرين معوّلًا في الغالب على تأليف العلامة فرنسيسكو سنتي الذي عنوانهُ خلاصة الناموس القانوني ناهجاً في ترتيب ابحاثهِ سياق المعلّم ريفنستول الراهب الفرنسيسي. ومن المباحث المهمَّة التي يحتويها هـذا الجزء بعد تعريف النـاموس مسائل عن مصادر الناموس كاحكام الكنيسة والمجامع والسُّنن والعادات ثمَّ عن حقوق الاسقف وشاراتهِ وتنزُّلهِ ومنحهِ السيامات والاسرار ثمَّ عن السينودس الايرشيّ الى غير ذلك من الفصول التي يستغرق فهرسها اربعين صفحة. وقد احسن المؤلف في ايضاح كلّ هـذه المسائل وشرح مرادها وفضّ مشكلاتها جازاهُ الله خيرًا ومتَّع بلادنا بعلمهِ زمناً طويلًا

## شذرات

اقتراح — نقترح على قرّائنا الافاضل ان يفيدونا ما علموا من احوال قوم « النوَر » الذين يتجوَّلون في بلادنا دون ان يختلطوا بها وعيشتهم بيننا كسرّ دفين لم يحاول احدٌ حتى الآن ان يوقفنا على حقيقتهِ. فمن عرف عن اصلهم ولغتهم ودينهم وبقيَّة امورهم شيئاً فليتكرَّم علينا بهِ سواء كان في بلاد الشام او مصر او العراق لنعرضهُ على ما كتبهُ الاوربيون عن هؤلاء الاوباش الذين يقطنون جهات اوربَّة وهم يعرفون هناك باسم البوهيميين والتسيغان واسماء اخرى شائعة بينهم

اكتتاب فرنسة الاخير — تمَّ في غاية آذار من السنة الجاريَّة آخر اكتتاب سكَّان فرنسة فبلغ عدد اهلها ٣٨,٦٤١,٣٣٣ نفساً فكانت الزيادة على اكتتاب عام ١٨٩٦ : ٤١٣,٣٦٤

مكتبة مُكدين في مندشوريا — لمَّا دخل الروس الى مكدين

وجدوا فيها مكتبةً كبرى مهمّة ضمنها مخطوطات وتآليف ذات شان كان التتر نقلوها من اوربّة وآسيّة الى تلك المدينة بعد غزواتهم في القرنين الثالث عشر والرابع عشر . والآن قد شرع الروس في نقل هذه الكنوز الدفينة الى عاصمتهم لينحصوها ويفيدوا عنها عالم العلم . ومنذ الآن بشّرت المجلات الخاصّة بان عدّة تآليف كان يتأسّف العلماء على فقدها وُجدت في جملة هذه المخطوطات

آلات زراعيّة جديدة — من الآلات التي اذهلت الزوار بدقّة صنعها في معرض باريس بعض آلات زراعيّة من الاوتوموبيل منها آلة للحراثة قدّمها صاحب الدولة بوغوص باشا نوبار تقوى على فلاحة ٣ هكتارات بالنهار . وفلاحتها حسنة ترى الارض بعد مرورها مخدّدةً مرتّبة ناعمة الدقائق مهيّأةً للزراعة على نمط لا يبلغهُ المحراث — وكذلك عُرضت آلة أخرى من الاوتوموبيل يحركها غاز البترول ابتدعها الاميركي كُرميك (Cormick) للحصادة توازي قوّة عشرة احصنة بخاريّة

منافع الشمندر — لا يخفى ان اهل اوربّة يكثرون من زراعة الشمندر لان من جذوره يستخرجون الآن اكثر ما يصطنعون من السكّر . وقد لحظ العلماء حديثًا ان في زراعة هذا النبات فائدةً اخرى ذات شأن وهي ان التربة التي نبتت فيها الشمندر هي أصلح للقمح لان جذور الشمندر تنفذ فيها عميقًا فتصلحها وتجعلها اسهل حراثةً فاذا زُرع القمح تأصّل في عمق هذه التربة وزكا ونما نموًّا عجيبًا . واكثر ما اختبر ذلك ارباب الزراعة في روسيا والمانية

هدام البحر — تشكّلت في باريس لجنة لمعاكسة هدام البحر وهي الدوخة التي تصيب المسافرين بحرًا . والغاية من هذه الجمعيّة وضع دواء شافٍ لهذا الداء المزعج . وقد انشأت جريدةً للبحث عن هذا الامر

الاعلانات التجاريّة — ما كنّا لنظن انّ احدًا غلب الاميركيين والانكليز في التفنن بالاعلانات التجاريّة . بيد اننا تحققنا الان انّ اليابانيين اصابوا في ذلك السهم الفائز فان بعض تجارهم اتخذوا لهم قصورًا او خانات يصطنعونها من الورق الشفّاف ويكتبون عليها باحرف ضخمة ما يريدون اشهاره . واذا مدّ الليل رواقهُ اناروا هذه الامكنة فيقرأها الناس

# أسئلة واجوبة

س كتب من مونتيفيديو جناب اسكندر افندي صاني انهُ رأى بعض الشبَّان تكلَّلوا على بنات اميركيات من قبل المكوسة ثمَّ رحلوا الى مدن اخرى فتكلَّلوا على غيرهنَّ فسأل هل تحلِّل الكنيسة ذلك

الزيجة المدنية

ج الزيجة الشرعيَّة هي الزيجة الدينيَّة التي لا تقبل الانفساخ. ومن شروطها ان تكون علنيَّة امام الكاهن المفوَّض بذلك وشاهدين. واذا عُقد الاكليل على غير هذه الصفة عُدَّ الزواج باطلًا الَّا انَّ في بعض البلاد كانكلترة واسوج ونروج حيث لم يُعلن قانون المجمع التريدنتيني بخصوص الزيجة الخفيَّة يثبت الزواج اذا كان خفيًّا او مدنيًّا لكن المتزوِّج على هذا النمط يخطئ خطأً مميتًا

س وسأل من الكرك حضرة المرسل الفاضل الخوري يوحنَّا شلهوب شرح قول الرب لقاين في سفر التكوين (٤ : ١٥) : « كلُّ من قتل قاين فسبعة اضعاف يُقاد بهِ وجعل الرب لقاين علامةً لئلَّا يقتلهُ كل من وجده » فلماذا اضعف الله قصاص قاين وما هي العلامة التي وضعها لهُ وممَّن كان خوفهُ

آية سفر التكوين في عقاب قاين

ج نجيب على (الاوَّل) ان الله اضعف عقاب من يقتل قاين ليردع عنهُ القاتل وقد عاقبهُ الرب بعقابٍ كافٍ عن اثمهِ اذ جعلهُ شاردًا في الارض منفيًّا فيها. وعلى (الثاني) ان المفسرين اختلفوا في هذه العلامة التي وضعها الرب في قاين لئلا يقتلهُ البشر. فمنهم من قال انَّ الله وسمهُ بعلامة ظاهرة في جبينهِ. والاصحُّ قول الربَّاني ابن عزرا ان هذه العلامة اظهرها الله امام قاين وكلِّ قرابتهِ التي سمعت وقتئذٍ حكم الله فيهِ كآية جوِّية او غير ذلك ممَّا أثَّر في الحضور. ونجيب على (الثالث) ان خوف قاين كان من اخوتهِ الذين اولدهم آدم وحوَّاء ومن ابنــاء اخوتهِ لانهُ لا يؤخذ من الكتاب الكريم ان آدم وحوَّاء لم يُولدا بعد غير هابيل وقاين بل يؤخذ خلاف ذلك. ثمَّ ان قاين كان يخاف ايضًا ممن سيولدون يومًا من ابويهِ ويطَّلعون على اثمهِ ل. ش

* تصحيح بعض اغلاط طبعيَّة * الصفحة ٥٦٤ س ١٢ « لويس السادس » صوابهُ « السادس عشر » = ٥١٩ س ١٤ « ولهُ ولرفيقيهما » ص « لهُ ولرفيقيهِ » = ٥٢٤ س ٢ « قطف الازهار » ابدل هذا الاسم « يسلَّم العبادة » = ٥٧٤ س ٢١ و ٢٢ « ماروثا استف ميَّافارقين » ص « استف تكريت » = ٥٨٠ س ٢ « ناج حمادي » ص « نجع حمادي »

قائمة للآثار الجوّية  من ١ الى ٢٢ ايلول ١٩٠١

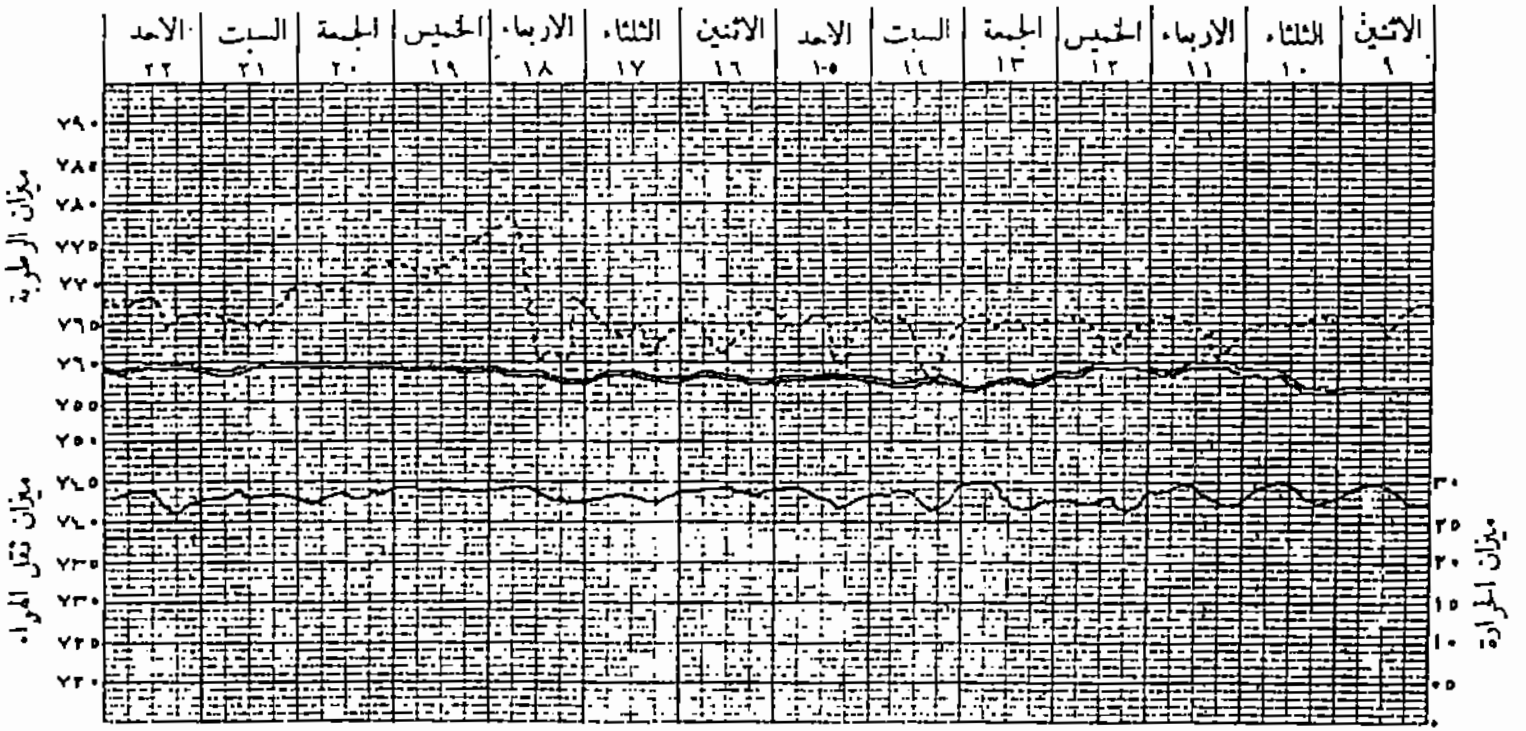


انّ الخطّ الضخم ( ـــــ ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع ( ـــ ) على ميزان الحرارة ( ترمومتر )
امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة ( هغرومتر ) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالمئترات وعُشر المئترات